الفصل الثالث والخمسون بعد المئة

أشهر رواة الشعر

اشتهر (مخرمة بن نوفل بن أهيب « وهيب » بن عبد مناف بن زهرة) ، وهو من قريش برواية الشعر وبالعلم به . « وكان من مسلمة الفتح ، وله سرّ وعلم ، كان يؤخذ عنه النسب[1] ، ولا سيما نسب قريش إذ كان من العالمين به . وكان عالماً بأنصاب الحرم . فبعثه (عمر) هو وسعيد بن يربوع ، وأزهر ابن عبد عوف ، وحويطب بن عبد العزى ، فجددوها . وكانت أمه (رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف) شاعرة ، وكانت لدة عبد المطلب[2] .

وعرف (أبو الجهم بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبدالله بن عوف) بالعلم بالشعر . وهو من (بني عدي) . وكان من معمري قريش ومن مشيختهم ، وكان أحد الأربعة الذين كانت قريش تأخذ عنهم النسب . وكان شديد العارضة ، وكان (عمر) يمنعه حتى كف من لسانه . وكان من مسلمة الفتح ، وكان مقدماً في قريش معظماً ، وكانت فيه وفي بنيه شدة وعرامة[3] .

وكان (أبو بكر) من الحافظين للشعر الراوين له ، روى (المطلب بن المطلب

---

١ كتاب نسب قريش (٢٦٢) ، (وهيب) ، زيدان ، تأريخ آداب اللغة العربية (١/١٠١) .

٢ الاصابة (٣/٣٧٠) ، (رقم ٧٨٤٢) .

٣ الاصابة (٤/٣٥ وما بعدها) ، (رقم ٢٠٧) ، الاستيعاب (٤/٣١ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) ، نسب قريش (٣٦٩ ، ٣٧٢) .

ابن أبـي وداعة) عن جده قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم،وأبا بكر رضي الله تعالى عنه عند باب بني شيبة ، فمرّ رجلٌ وهو يقول :

يا أيها الرجل المحول رحله ألا نزلت بآل عبـد الدار
هبلتك أمك لو نزلت برحلهم منعوك من عدم ومن إقتار

قال : فالتفتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الى أبـي بكر فقال : أهكذا قال الشاعر ؟ قال : لا والذي بعثك بالحق ، لكنه قال :

يا أيها الرجل المحوّل رحله ألا نزلت بآل عنـد مناف
هبلتك أمك لو نزلت برحلهم منعوك من عدم ومن إقراف
الخالطين فقـيرهم بغنيهم حتى يعود فقيرهم كالكافي
ويُكلّلون جفـانهم بسديفهم حتى تغيب الشمس في الرجّاف
منهم عـليّ والنبي محمـد القائـلان هلم للأضياف

قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : « هكذا سمعت الرواة ينشدونه »[1] .

وكان أبو بكر أحد العلماء بالنسب في قريش ، وكانوا إذا أرادوا الوقـوف على نسب رحل جاءوا اليه يسألونه ، فهو عالم من علماء قريش فيه .

وكان (عمر بن الخطاب) ممن يحفظون الشعر ، ووصف بأنه كان عالماً به[2] وبأنه « كان أعلم الناس بالشعر » ، وكان يحكم على الشعر وينتقده ، ولا يكـاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر[3] ، وأنه كان بصيراً به ، حتى قيل عنـه إنه كان « لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر »[4] ، ورووا له أمثلة كثيرة من حفظه للشعر ومن حسن نقده له ، ونفاذه في باطن معانيه ومحاسنه[5] .

---

١ الامالي ، للقالي (١/٢٤١ وما بعدها) .
٢ العمدة (١/٧٦) ، البيان والتبيين (١/٢٣٩) .
٣ البيان والتبيين (١/٢٤١ وما بعدها) .
٤ البيان والتبيين (١/٢٤١) .
٥ العقد الفريد (٦/١٢٠ وما بعدها) .

وذكر أنه كان يقدم (امرأ القيس) على بقية الشعراء[1] .

وكانت (عائشة) من رواة الشعر ، وكانت تحفظ منه ما شاء الله ، قيل انها قالت : « إني لأروي ألف بيت للبيد ، وانه أقل مما أروي لغيره[2] . وانها كانت تحفظ من شعر كعب بن مالك شعراً كثيراً ، منها القصيدة فيها أربعون بيتاً ودون ذلك[3] ، وكانت تتمثل بالأشعار ، وربما دخل عليها رسول الله ، فوجدها تنشد الشعر[4] . قال (أبو الزناد) : « ما رأيت أحداً أروى لشعر من عروة . فقيل له : ما أرواك ، فقال : روايتي في رواية عائشة ، ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعراً » ، وورد عن (عروة) قوله : « ما رأيت أحداً أعلم بفقه ، ولا بطب ، ولا بشعر من عائشة »[5] . وروي انها كانت تحث على تعلم الشعر وروايته ، بقولها : « رووا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم »[6] .

وكان (ابن عباس) من رواة الشعر وحفّاظه . سأله (عمر) أن ينشده شعراً ، فطلب منه أن يذكر له اسم شاعر لينشد له شعره ، فقال زهير بن أبي سلمى ، فأنشده « الى ان برق الصبح »[7] ، وزعم انه كان يفسر كلمات كتاب الله بالشعر ، قال (أبو عبيد) « انه كان يُسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر »[8]. وزعم أهل الأخبار ان (نافع بن الأزرق) ، و (نجدة بن عويمر) ، سألا (ابن عباس) عن كلمات واردة في القرآن ، فجلس لهما بفناء الكعبة ، وأخذ (نافع) يسأله الكلمة تلو الكلمة وهو يشرحها لهم بشعر ، وقد دوّن نصها العلماء، أخرج بعضها (ابن الأنباري) في كتاب الوقف ، والطبراني في معجمه الكبير، ويرجع سند (ابن الأنباري) الى (ميمون بن مهران) ، ويرجع سند (الطبراني) الى (الضحاك بن مزاحم) ، وقد أخذ (السيوطي) بالروايتين وسجلها في كتابه

---

١ الاغاني (٨/١٩٩) ، الفائق (١/٣٤٣) .
٢ العقد (٦/١٢٥) .
٣ المزهر (٢/٣٠٩) .
٤ الاغاني (٣/١١٧) .
٥ الاصابة (٤/٣٤٩) ، (رقم ٧٠٤) ، الاستيعاب (٤/٣٤٨ وما بعدها) ، (حاشية على الاصابة) .
٦ العقد (٦/١٢٥) .
٧ الاغاني (١٠/٢٩١) .
٨ السيوطي ، الاتقان (٢/٥٥) .

(الاتقان في علوم القرآن) ، بعد أن حذف منها نحو بضعة عشر سؤالاً[1] . وقد وردت هذه الرواية بصور مختلفة[2] ، وذكر ان (أبا عبيدة معمر بن المثنى) ، أخذ أسئلة نافع وأدخلها في كتابه في غريب القرآن[3] .

وكان (معاوية) ممن يروي ويحفظ الشعر الجاهلي ، وقد رووا عن حفظه للشعر الجاهلي واستشهاده به في كلامه شيئاً كثيراً ، فزعموا أنه كان يمتحن الناس بأشعار الجاهليين ، فإذا وجد في أحدهم علماً بها زاد في عطائه وقدمه عنده وأجزل عليه[4] . ورووا أنه كتب الى (زياد) بشأن ابنه ، وقد وجده عالماً بكل ما سأله عنه إلا الشعر : « ما منعك أن ترويه الشعر ؟ فوالله إن كان العاق ليرويه فيبرّ ، وإن كان البخيل ليرويه فيسخو ، وإن كان الجبان ليريه فيقاتل[5] . ويروى أنه سأل (عبدالله بن زياد) ، ما منعك من روايته ؟ قال : كرهت أن أجمع كلام الله وكلام الشيطان في صدري ، فقال : أعزب ! والله لقد وضعت رجلي في الركاب يوم صفّين مراراً ، ما يمنعني من الإنهزام إلاّ أبيات ابن الإطنابة ، وتمثل بها ، ثم كتب الى أبيه أن روّه الشعر ، فروّاه فما كان يسقط عليه منه شيء[6] .

وقد تعرض (الجاحظ) لموضوع الشعر الجاهلي فقال : « والعرب أوعى لما تسمع ، وأحفظ لما تأثر ، ولها الأشعار التي تقيد عليها مآثرها ، وتخلد لها محاسنها. وجرت من ذلك في إسلامها على مثل عادتها في جاهليتها ، فبنت بذلك لبني مروان شرفاً كثيراً ومجداً كبيراً وتدبيراً لا يحصى »[7] . وقد كان لبني سفيان وآل مروان

---

١ الاتقان (٢/٥٥ ـ ٨٨) .
٢ الكامل ، للمبرد (٥٦٦ وما بعدها) .
٣ السيوطي ، الوسائل في مسامرة الاوائل (١١٢) ، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية(٢٤٣) .
٤ الاغاني (٣/١٠٠ وما بعدها) ، البيان والتبيين (١/٣٣٣) ، (٣/٩) ، الفائق (١/٢٤٠) .
٥ العقد الفريد (٦/١٢٥) .
٦ المزهر (٢/٣١٠ وما بعدها) ، وتروى هذه القصة بروايات أخرى ، راجع المصون ، للعسكري (١٣٦) ، مجالس ثعلب (٨٢)الامالي ، للقالي (١/١٥٨) ، عيون الاخبار (١/١٢٦) ، ديوان المعاني (١/١١٤) ، المرزباني ، معجم (٩) ، (فراج) ، عيون الاخبار (٣/١٥٩) . مجالس ثعلب (٦٧) ، (عبد السلام محمد هارون) .
٧ البيان والتبيين (٨٨) ، (انتقاء الدكتور جميل جبر) ، (بيروت ١٩٥٩ م ، المطبعة الكاثوليكية) .

عناية فائقة بالشعر الجاهلي ، فقد كان (معاوية) كما ذكرت يحفظ كثيراً من ذلك الشعر ، وينقب عنه ، وكان يسأل من يجد فيه العلم عنه ، حتى زعم أنه ذكر قصيدتي (عمرو بن كلثوم) و (الحارث بن حلزة) اليشكري ، وقال كانتا : « من مفاخر العرب ، وكانتا معلقتين بالكعبة دهراً »[1] . وزعم أن (بني أمية) « كانوا ربما اختلفوا وهم بالشأم في بيت من الشعر ، أو خبر ، أو يوم من أيام العرب ، فيبردون فيه بريداً الى العراق »[2] ، وأنهم كانوا يسألون الوافدين عليهم من سادات القبائل ومن الأعراب ومن العارفين بالشعر عن الشعراء، وقد يذكرون بيتاً أو شعراً حفظوه لا يدرون اسم قائله ، فكانوا يستفسرون عن قائله ، وعن المناسبة التي قال الشاعر شعره فيها ، ويحسنون جائزة من له علم بالشعر والأخبار[3] .

وكان (عبد الملك بن مروان) من العلماء بالشعر الجاهلي ، قيل انه كان يمتحن الناس به ، ومنهم (الحجاج بن أبي يوسف) الثقفي[4] . وقد ذكر انه استدعى اليه (عامر بن شراحيل) الشعبي ، ليحدثه عن الحلال والحرام ، وعن أشعار العرب وأخبارهم ، وكان (الشعبي) من ذلك الطراز البارع في الشعر وفي أخبار العرب وفي الحلال والحرام[5] ، وروي ان (عبد الملك) ، كان قد طرح أربعة من شعراء المعلقات ، وأثبت مكانهم أربعة[6] ، واذا صح هذا الخبر دل على وجود القصائد المسماة بالمعلقات في ذلك العهد .

وروي انه كان يقول : اذا أردتم الشعر الجيد ، فعليكم بالزرق من بني قيس ابن ثعلبة ، وبأصحاب النخيل من يثرب ، وأصحاب الشعف من هذيل[7]. ويظهر انه كان من المعجبين بشعر (الأعشى) ، روي انه قال لمؤدب ولده : « أدبهم برواية شعر الأعشى فإن لكلامه عذوبة »[8] . والأعشى هو من بني قيس بن ثعلبة،

---

١ الخزانة (٣/١٦٢) .
٢ العسكري ، التصحيف والتحريف (٤) .
٣ الاغاني (٣/٩١) .
٤ ياقوت ، ارشاد (١/٢٧) ، الامالي ، للقالي (١/١٥) .
٥ ارشاد (١/٩٦ وما بعدها) ، الخزانة (٢/٢٥٠) ، (هارون) .
٦ الخزانة (١/٦١) ، الخزانة (١/٢٨٨) ، (بولاق) .
٧ العقد (٦/١٢٤) .
٨ جمهرة اشعار العرب (٦٣) .

وقد كان يقيم وزناً كبيراً للشعر في تأديب الأولاد . فكانت وصيته لمؤدب ولده : « روهم الشعر ، روهم الشعر ، يمجدوا وينجدوا »[1] . وروي انه تمثل وهو بمرضه الذي مات فيه بشعر (ابن قيشة) ، وذلك أمام (الشعبي) ، فأنشده (الشعبي) شعراً من شعر (لبيد)[2] .

ونجد في الأخبار أن عبد الملك ، كان إذا شك في شعر ، أو أراد الوقوف عليه وعلى ظروفه ، كتب الى العلماء به ، يسألهم عنه ، أو يستدعي من يعرف أن له علماً به ، فيسأله عنه ، أو يسأل آل الشعر أو أحد أفراد قبيلته عنه . وكان كثير الحفظ له ، حتى كاد لا يدانيه فيه كثير من حفاظ الشعر ، وكان يجمع اليه الشعراء في يوم ، حتى يستمتع بإنشاد شعرهم ، وشعر المتقدمين عليهم. وكان له ذوق في الشعر ونقد دقيق له ، ذكر أنه قال يوماً للشعراء وقد اجتمعوا عنده : « تشبهوننا بالأسد والأسد أبخر ، وبالبحر والبحر أجاج ، وبالجبل مرة والجبل أوعر ، أقلتم كما قال أيمن بن خريم » ، ثم ذكر شعره في بني هاشم[3] . وقال للأخطل ، وقد كان قد قال له : « يا أمير المؤمنين ، قد امتدحتك فاستمع مني » « إن كنت إنما شبهتني بالصقر والأسد فلا حاجة لي في مدحتك، وإن كنت كما قالت أخت بني الشريد[4] لأخيها صخر فهات . فقال الأخطل : وما قالت يا أمير المؤمنين ؟ قال : هي التي تقول :

وما بلغت كفُّ امرىء متناولٍ من المجد إلا حيث ما نلت أطول»[5]

ثم قرأ عليه الأبيات . ولما دخل (جرثومةُ) الشاعر على عبد الملك بن مروان، فأنشده والأخطل حاضر ، « قال عبد الملك للأخطل : هذا المدح ويلك يا ابن النصرانية »[6] .

وكان يجمع بين الشعراء ، ويستمع الى شعرهم ، يجمعهم حتى إن كانوا

---

١ العقد (٦/١٣٥) .
٢ الخزانة (٢/٢٥١) ، (هارون) .
٣ المصون في الادب ، لابي أحمد الحسن بن عبدالله العسكري (ص ٦٢) ، (تحقيق عبدالسلام محمد هارون) ، (الكويت ١٩٦٠ م) .
٤ يعني الخنساء .
٥ المصون (٦٣) .
٦ المصون (٦٤) .

متعادين متنافسين ، فقد جمع بين جرير ، والفرزدق ، والأخطـل ، في مجلس واحد ، وذكر أنه سأل أعرابياً شاعراً عن أهجى بيت في الإسلام ، وعن أرق بيت في الإسلام ، فأشار الى أبيات لجرير ،وفضل جريراً عليها ، فأيده عبد الملك في هذا الرأي[1] .

وقد وصف (عامر) الشعبي ، (عبد الملك بن مروان) وصفاً يـدل على شدة إعجابه به ؛ إذ يقول في وصفه له : « فلما فرغ من الطعام وقعد في مجلسه واندفعنا في الحديث ، وذهبت لأتكلم ، فما ابتدأت بشيء من الحديث إلا استلبه مني فحدث الناس به ، وربما زاد فيه على ما عندي ، ولا أنشدته شعراً إلا فعل مثل ذلك . فغمّني ذلك ، وانكسر بالي له ، فما زلنا على ذلك بقية نهارنا ، فلما كان آخر وقتنا التفت إلي وقال : يا شعبي ، قد والله تبينت الكراهية في وجهك لما فعلتُ ، وتدري أي شيء حملني على ذلك ؟ قلت : لا يا أمـير المؤمنين . قال : لئلا تقول : لئن فازوا بالملك أولاً لقـد فزنا نحن بالعـلم ، فأردت أن أعرّفك أنّا فُزنا بالملك وشاركناك فيما أنت فيه »[2] ، ولهذا اجتمع اليه الشعـراء وعلماء الأخبار ورواة الناس ، حتى حفلت بهم مجالسه ، وكان يذاكرهم ويحادثهم وينوه بهم ويدني مجالسهم[3] . وذكر ان عبد الملك أرسل الى الحجاج أن يرسل اليه (الشعبي) ، فأرسله اليه ، فلما دخل عليه كان (الأخطل) عنده ، فأخذ يسأله عن الشعر ، ويسأل الأخطل عنه ، حتى اذا انتهى ، قال له : يا شعبي ، انما أعلمناك هذا ، لأنه بلغني ان أهل العراق يتطاولون على أهـل الشام ويقولون : إن كانوا غلبونا على الدولة ، فلن يغلبونا على العلم والرواية ، وأهل الشام أعـلم بعلم أهل العراق من أهل العراق »[4] . وكان الشعبي قد جعل الخنساء أشعر النساء أما عبد الملك ففضل ليلى الأخيلية عليها . فشق ذلك عـلى الشعبي ، فقال له ذلك القول ، وردد عليه أبيات الأخيلية حتى حفظها . والرواية المتقدمة التي أخذتها من (الرافعي) هي هذه الرواية بشيء من التغيير .

وكان يتمثل بالشعر الجيد ، ويثني على الحسن منه ، ويحسن نقده . تمثل بشعر

---

١ السيوطي ، شرح شواهد (١/٤٥ وما بعدها) .
٢ الزجاجي ، مجالس العلماء (٢٠٩) .
٣ الرافعي (١/٤٠٧) .
٤ أمالي المرتضى (٢/١٦ وما بعدها) .

لهذيل بن مشجعة البولاني ، وقال : « هذا والله شعر الأشراف . نفى عن نفسه الحسدَ واللؤم والانتقام عند الإمكان ، والمسألة عند الحاجة »[1] . وله مجالس كان يسأل فيها الناس عن الشعر ، يمتحنهم ، وذكر أنه سأل رجلاً وهو بالكوفة عن شعر (ذي الاصبع العدواني) وعن أخباره ، وكان من عدوان ، فلما وجده جاهلاً حط من عطائه[2] ، وذكر أنه اجتمع بالربيع بن ضبيع الفزاري ، وسأله عن أخباره[3] ،وأنه كان يبدي ملاحظات قيمة على أشعار الشعراء الجاهليين والمعاصرين له[4] . وروي أنه كان يبحث عن شعر الشعراء بما فيهم الشعراء المعاصرون له ، فلما قدم (الأجرد) (الأحرد) ، وهو من شعراء ثقيف في نفر من الشعراء ، قال له : إنه ما من شاعر إلاّ وقد سبق الينا من شعره قبل رؤيته فما قلتَ »[5] .

وكان (الوليد) و (سليمان) ابنا (عبد الملك) من المولعين بالشعر كذلك ، وذكر أن (الوليد) كان يقدم (النابغة) على غيره من الشعراء ، وكان (سليمان) يقدم (امرأ القيس) ، فذكر ذلك لعبد الملك ، فبعث الى أعرابي فصيح ، ليكون الحكم بينهما[6] . ورويت القصة بشكل آخر ، ورد فيها أن (الوليد بن عبد الملك) تشاجر مع أخيه (مسلمة) في شعر (امرىء القيس) و (النابغة) الذبياني في وصف طول الليل أيهما أجود ، فرضيا بالشعبي فأحضر ، فصار الحكم بينهما[7] .

وكان (هشام بن عبد الملك) من المولعين بالشعر كذلك ، ذكر أنه كتب الى عامله في أشخاص (حماد) الراوية اليه لبيت سمعه لم يعرف اسم قائله .

وكان (الوليد بن يزيد) من المتيمين بالشعر ، وهو نفسه شاعر مجيد ، وكان يستدعي (حماد) الراوية ليسأله عن الشعر ، وقد قتل في سنة ست وعشرين ومائة . وكان منهمكاً في اللهو وشرب الخمر وسماع الغناء ، ذكر انه استفتح

---

١ رسائل الجاحظ (١/٣٦٢ وما بعدها) ، (كتاب فصل ما بين العداوة والحسد) .
٢ أمالي المرتضى (١/٢٤٩ وما بعدها) .
٣ أمالي المرتضى (١/٢٥٣) .
٤ أمالي المرتضى (١/٢٧٨) .
٥ الشعر والشعراء (٢/٦٢٠) .
٦ الزجاجي ، مجالس العلماء (٢٧٢) .
٧ الخزانة (٢/٣٢٥ وما بعدها) .

القرآن ، فخرج له : « واستفتحوا وخاب كـل جبار عنيد »[1] ، فألقاه ونصبه غرضاً ورماه بالسهام ، وقال :

تهدّدني بجبـارٍ عنيـد فها أنا ذاك جبار عنيد
اذا ما جئت ربك يومَ حشرٍ فقل: يا رب مزّقني الوليد[2]

وكان اذا أراد الاستفسار عن شعر جاهلي خفي أمره عليه ، أرسل الى (حماد) يسأله عنه[3] ، كما كان يسأل غيره عنه كذلك .

وروي انه نشر يوماً المصحف ، وجعل يرميه بالسهام ، وهو يقول :

تذكرني الحساب ولستُ أدري أحقاً ما تقول من الحساب
فقـل للهِ يمنعني طعامـي وقـل لله يمنعني شرابي

وانه قال :

اسقياني وابن حرب واستراني بـإزار
فلقد أيقنت انـي غير مبعوث لنار
واتركا من طلب الجنّة يسعى في خسار
سأسوس الناس حتى يركبوا دين الحمار[4]

الى غير ذلك من أشعار وأخبار ، وروايات تتهجم عليه ، نسبت بعضها الى أهله وأقاربه ، بل زعم ان الرسول لعنه في حديثه[5] ، ومثل هذه الأحاديث من الحديث الموضوع .

---

١ ابراهيم ، الآية ١٥ .
٢ الخزانة (٢/٢٢٨) ، (هارون) ، الخزانة (١/٣٢٨) ، (بولاق) .
٣ الخزانة (٤/١٢٩) ، (بولاق) ، وورد بصورة أخرى تختلف بعض الاختلاف عن هذه الرواية ، أمالي المرتضى (١/١٣٠) .
٤ أمالي المرتضى (١/١٢٩) ، ورويت بصور أخرى ، الاغاني (٧/٤٦) ، رسالة الغفران (٤٤٤) .
٥ أمالي المرتضى (١/١٢٩) ، راجع رسالة الغفران حيث تجد بعض اشعاره (٤٤٤ وما بعدها) .

وفي شعر الوليد سلاسة وطبع ، وعدم مبالاة ، فالحياة في نظره ، سماع غناء، وخمر طيب ، أما الحكم والملك ، فلا يساويان شيئاً :

أنا الأمامُ الوليـــد مفتخراً أجر بُردي ، وأسمع الغزلا
أسحب ذيلي الى منازلهـــا ولا أبـالي من لام أو عذلا
ما العيش إلا سمـاع مُحسنة وقهوة تترك الفتى ثمـــلا
لا أرتجي الحور في الخلود وهل يأمل حور الجنان من عقلا ؟
إذا حبتك الوصال غانيـــة فجازها بـــذلها كمن وصلا

ويقال إنه لما أحيط به ، دخل القصر وأغلق بابه وقال :

دعوا لي هنداً والرباب وفرتني ومسمعة ، حسبي بذلك مـالا
خذوا ملككم،لا ثبت الله ملككم فليس يساوي بعد ذاك عقالا
وخلّوا سبيلي قبل عيرٍ وما جرى ولا تحسدوني أن أموت هزالا[1]

وكان (ابن شهاب الزهري) من رواة الشعر ، وكان من المؤلفين ، وقد توفي سنة (١٢٤ هـ)[2] ، وكان راويـــة للشعر ، يحفظ الكثير منه ، حتى كان الأمويون إذا أشكل عليهم أمر من أمور الشعر ، أرسلوا اليه يسألونه عنه[3] .

وكان (عروة بن الزبير) من رواة الشعر ، ويعد من أشهر رواته عند أهل الحجاز ، روى عن عائشة ، وكان يقول : « روايتي في روايـة عائشة »[4] ، وقد روى عن اختها (أسماء) بنت أبـي بكر ، روى عنها شعراً لزيد بن عمرو بن نفيل ، ولورقة بن نوفل[5] ، وكان يزور آل مروان ، رآه الحجاج « قاعداً مع عبد الملك بن مروان ، فقال عروة : أنا لا أم لي ! وأنا ابن عجائز الجنة ! ولكن إن شئت أخبرتك من لا أم له يا ابن المتمنية ! فقال عبد الملك : أقسمت عليك أن تفعل ، فكفّ عروة . والمتمنية ، هي الفُريعة بنت همام ، أم الحجاج

---

١ رسالة الغفران (٤٤٤ وما بعدها) ، الاغاني (٧/٤٦ ، ٧٣) .
٢ المعارف (٤٧٢) .
٣ الاغاني (٤/٢٤٨) .
٤ الاصابة (٤/٣٤٩) ، (رقم ٧٠٤) .
٥ الاغاني (٣/١٢٤ وما بعدها) .

وهي القائلة :

هل من سبيل الى خمرٍ فأشربها أم من سبيل الى نصر بن حجاج[1]

وللمتمنية قصة ، لا تخلو أن تكون من وضع أعداء الحجاج .

وقد نسب أهل الأخبار الى بعض رواة الشعر حفظ الشيء الكثير من ذلك الشعر ، نسبوا الى بعضهم حفظ آلاف القصائد عدا القطع والأراجيز . ذكروا مثلاً ان (حماداً) الراوية كان يحفظ (٢٧) قصيدة على كل حرف من حروف الهجاء ألف قصيدة[2] . وان (الأصمعي) ، كان يحفظ (١٦) ألف أرجوزة[3] ، وان (أبا ضمضم) ، كان يروي لمائة شاعر اسم كل منهم (عمرو)[4] ، وأن (أبا تمام) حفظ (١٤) ألف أرجوزة من أراجيز الجاهلية غير القصائد والمقاطيع[5] ، الى أمثال ذلك من أرقام لا تخلو من مبالغات أهل الأخبار .

وروي أن فتياناً جاءوا الى (أبي ضمضم) بعد العشاء ، فقال لهم : ما جاء بكم يا خبثاء ؟ قالوا : جئناك نتحدث ، قال : كذبتم ، ولكن قلتم كبر الشيخ فنتلعبه عسى أن نأخذ عليه سقطة ! فأنشدهم لمائة شاعر ، وقال مرة أخرى لثمانين ، كلهم اسمه عمرو[6] . وقال (الأصمعي) : « فعددت أنا وخلف الأحمر فلم نقدر على ثلاثين . فهذا ما حفظه أبو ضمضم ، ولم يكن بأروى الناس ، وما أقرب أن يكون من لا يعرفه من المسمّين بهذا الإسم أكثر ما عرفه » .

ولما نشأ التدوين بالمعنى المفهوم من هذه اللفظة في الإسلام ، كان الشعر في طليعة الموضوعات التي عني الناس بها في أيام الأمويين فما بعد . فجمعوا شعر الشعراء على انفراد ، وجمعوا شعر جماعة منهم ، أو شعر قبيلة أو قبائل،وجمعوا

---

١ الفائق (٥٢/٣ وما بعدها) .
٢ النجوم الزاهرة (٤٢٠/١) ، زيدان ، تأريخ آداب اللغة العربية (٧٧/١) .
٣ ابن خلكان (١٢١/١) ، طبقات الادباء (١٥١) ، زيدان (٧٧/١) .
٤ الشعر والشعراء (٤) . زيدان (٧٧/١) .
٥ ابن خلكان (١٢١/١) ، زيدان (٧٧/١) .
٦ الشعر والشعراء (٩) ، (الثقافة) .

شعر طبقة من الطبقات الاجتماعية ، كما عنوا بالاختيارات وغير ذلك[1] .

وقد أخذ بعض رواة الشعر الجاهـلي من منابعه ، أي من القبائل ، « قال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب : دخل أبو عمرو اسحاق بن مرار البادية ومعه دستيجان من حبر ، فما خرج حتى أفناهما بكتب سماعه عن العرب »[2] . (وأبو عمرو) هذا ، هو أبو عمرو الشيباني .

وقد أشار (ابن النديم) والعلماء الذين عنوا بالشعر الى أسماء نفر من العلماء عنوا واشتغلوا بجمع الشعر ، وذكروا أسماء كتبهم واختياراتهم . وقد وصل الينا بعض ما اشتغلوا فيـه وجمعوه ، فطبع ، ومنه ما لا زال مخطوطاً محفوظاً في خزائن الكتب . وهو معروف يعرف الناس المواضع التي يوجد فيها ، وقد يهيأ له من يقوم بطبعه وتيسيره بذلك للناس ، غـير أننا لا نزال نجهل مصير عدد كبير من الدواوين والأشعار والاختيارات التي ذكر (ابن النديم) وغيره أسماءها مع أسماء جامعيها ، لا ندري إذا كانت اليوم في خزائن الكتب لا يعرف الناس من أمرها شيئاً ، لعدم إحاطة المسؤولين بأمر تلك الخزائن العلم بها ، أو أنها عند أسر لا تعرف من أمر المخطوطات شيئاً ، لجهلها بها وبالعلم ، أو أنها تلفت وولت لعوامل عديدة ، فلا أمل إذن من بعثها ونشرها .

وقد تحرش (الجاحظ) بنموذج من رواة الشعر بالبصرة ، فقال : « وقد أدركت رواة المسجدين والمربدين ومن لم يرو أشعار المجانين ولصوص الأعراب ، ونسيب الأعراب ، والأرجاز الأعرابية القصار ، وأشعار اليهود ، والأشعـار المنصفة ، فإنهم كانوا لا يعدونـه من الرواة . ثم استبردوا ذلك كله ووقفوا على قصار الحديث والقصائد ، والفقر والنتف من كل شيء . ولقد شهدتم وما هم على شيء أحرص منهم على نسيب العباس بن الأحنف ، فما هو إلا أن أورد عليهم خلف الأحمر نسيب الأعراب ، فصار زهدهم في شعر العباس بقـدر رغبتهم في نسيب الأعراب . ثم رأيتهم منذ سنّيات ، وما يروى عندهم نسيب الأعراب إلا حدث السن قد ابتدأ في طلب الشعر ، أو فتياني متغزل .

وقد جلست الى أبـي عبيدة ، والأصمعي ، ويحيى بن المنجـم ، وأبـي مالك

---

١ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١/٦٧) .
٢ نزهة الالباء (ص ٦١ وما بعدها) .

عمرو بن كركرة ، مع من جالست من رواة البغداديين ، فما رأيت أحداً منهم قصد الى شعر في النسيب فأنشده . وكان خلف يجمع ذلك كله »[1] .

ولم يقتصر عمل الراوية على رواية الشعر وإنشاده للناس ، بل كان يقوم أيضاً بشرح غامض ألفاظه وبإجلاء ما قد يكون في الشعر من معان خفيـة غامضة ، كما كان يقوم بشرح الظروف والمناسبات التي نظم الشعر فيها ، الى غـير ذلك من أمور تتعلق بالشعر . ولهذا فإن راوية الشاعر ، هو ديوان حي للشاعر ، فيه كل ما يتعلق بشعر ذلك الشاعر .

ولم يقتصر جمع الشعر على عشاقه ورواته والعلماء به ، أو على الرواة الشعراء، بل ساهم فيه أناس تخصصوا بأمور أخرى، كان لاختصاصهم اتصال متين بالشعر ، مثل علماء النسب وعلماء الأيام والأخبار . فقد أمدنا هؤلاء عادة لا بـأس بها من الشعر الجاهلي ، في الجاهلية وفي الاسلام . كانوا إذا تحدثوا عن نسب قبيلة أو عن نسب رجـل معروف ، ذكروا ما قيل في حقها أو في حقه من مدح أو هجاء ، وكانوا إذا تكلموا عن أيام الجاهلية ، اضطروا الى سرد ما قال فيهـا أبطالها وفرسانها من شعر . فقد كان من عادة الأبطال إنشاد شعر التبجح بالنفس وبمفاخرها وبمفاخر القبيلة حين نزولهم ساحة القتال ، وكان من عـادة المنتصر تخليد نصره بأشعار ينشدها أبناء القبيلة ، لتكون تسجيلاً لمفاخره بين الناس .

وساهم علماء العربية : علماء اللغة والنحو والتفسير والحديث مساهمة تذكر في تخليد الشعر الجاهلي ، بما جمعوه من شواهد في اللغة وفي النحو وفي الصرف،وفي تفسير القرآن والحديث من أبيات وقطع بل قصائد أحياناً . فقدموا لنا بفعلهم هذا مادة ساعدتنا في زيادة معارفنا عن شعر ما قبل الاسلام ، وفي ضبط الشعر الوارد في المصادر الأخرى ، وتصحيح ما قد يكون قد وقـع في الروايات المتضاربة من أوهام ، كما أمدتنا بمادة لا بأس بها ، بل جديدة ونادرة أحيانـاً عن أصحاب الشعر وعن المناسبات التي قيل فيها .

وقد تعرض (الجاحظ) لأمر هؤلاء في الشعر ، فقال : « ولم أر غاية النحويين إلا كل شعر فيه إعراب . ولم أر غاية رواة الشعر إلا كل شعـر فيه غريب أو معنى صعب يحتاج الى الاستخراج . ولم أ، غاية رواة الأخبار إلا كل شعر فيـه

---

١ البيان والتبيين (١٠٠) ، (انتقاء الدكتور جميل جبر) .

الشاهد والمثل »[1] .

يقول (بروكلمن) : « ولم يبدأ جمع الشعر إلا في عصر الأمويين ، وإن لم يبلغ هذا الجمع ذروته إلا على أيدي العلماء في عصر العباسيين ، بيد ان معنى التحري في وثوق الرواية ، والتدقيق في النقل اللغوي على النحو الذي نعرفه في عصرنا هذا ، كان أمراً غريباً بعد على جمّاع ذلك العصر . ولما كان كثير من هؤلاء الجماع أنفسهم شعراء ، فقد ظنوا انه ليس من حقهم فقط ، بل ربما كان واجباً عليهم أيضاً في بعض الأحيان أن يصلحوا ما رووه للشعراء القدماء أو يزيدوا عليه . فلا عجب اذا لم يبالوا أيضاً بالوضع والاختراع لتوثيق رواياتهم . وقد أراد حماد الراوية أن يفسر تفوقه ، والتفوق المزعوم لأصحابه الكوفيين في الدراية بالشعر القديم ، فزعم انه وجد الشعر الذي كتب بأمر النعمان ودفن في قصره الأبيض بالحيرة ، ثم كشف في أيام المختار بن أبي عبيد .

لقد غيّر الرواة بعض أشعار الجاهلية عمداً ، ونسبوا الأشعار القديمة الى شعراء من الجاهلية الأولى ، كما يمكن أن يكون وضع أشعار قديمة ، منحولة على مشاهير الأبطال في الزمن الأول لتمجيد بعض القبائل ، أكثر مما نستطيع إثباته .

على أنه بالرغم من كل العيوب التي لم يكن منها بد في المصادر القديمة ، يبدو أن القصد الى التشويه والتحريف لم يلعب إلا دوراً ثانوياً . وقد روى علماء المسلمين أشعاراً للجاهليين تشتمل على أسماء أصنام وعبادتها ، وأن أسقطوا أيضاً أبياتاً أخرى لشبهات دينية ، وذلك في حالات يبدو أنها قليلة ، لأن الشعور الديني لم يكن غالباً على نفوس العرب في الجاهلية »[2] .

ويعود الفضل في جمع الشعر الجاهلي وتدوينه وتخليده الى مدينتين اشتهرتا بالعلم ، هما : الكوفة والبصرة ، فقد كان علماء هاتين المدينتين في طليعة من عني بجمع الشعر الجاهلي وتقصيه ، ولا نكاد نجد مدينة إسلامية ، بلغت مبلغها في هذه الناحية ، أو تمكنت من مزاحمتها في جمع شتات هذا الشعر وحصره في كتب مدونة صارت مرجعاً للعلماء ولعشاق هذا الشعر الى يومنا هذا . ونكاد لا نجد كتاباً في الشعر أو في الأدب ، إلا وهو عيال على علم علماء هاتين المدينتين .

---

١ البيان والتبيين (١٠١) ، (انتقاء الدكتور جميل جبر) ، (بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٥٩ م) .

٢ بروكلمن (١/٦٥ وما بعدها) .

obeikandl.com

الغساسنة ، ليجد له مأوى عندهم ، كما فعل النابغة والمتلمس . ولما كان الغساسنة قد تأثروا بالحياة الحضرية ، أكثر من ملوك الحيرة،وقد تشربوا بالثقافة البيزنطية، فعاشوا في بيوت بدمشق بين الحضر ، وبنوا القصور الكبيرة في القرى التابعة لهم، وهي مواضع خصبة ، وقد أثّثوها على الطريقة الرومية ، وكانوا يسمعون الغناء الرومي ، وكانت مصالحهم بالأعراب وبجزيرة العرب – كما قلت – غير ذات بال ، لم يحفلوا بالشعراء الوافدين عليهم احتفال ملوك الحيرة بهم ، ولم يغدقوا إغداق المناذرة عليهم ، فصار عدد الشعراء الوافدين عليهم قليلاً إذا قيس بعدد من كان يذهب منهم الى قصور الحيرة ، كما يظهر ذلك جليّاً من كتب الأخبار والأدب التي تحدثت عن الشعراء الجاهليين ، ولعل هذا الصدّ عن الشعراء هو الذي حمل (النابغة) على ألا يمكث عند الغساسنة طويلاً ، فحمل حمله ، وعاد الى الحيرة معتذراً الى النعمان عما بدر منه من خطأ ، راميا سبب ما وقع بينهما من قطيعة الى عمل الوشاة الحساد . ولعله كان أيضاً في جملة العوامل التي جعلت العراق يتقدم على الشأم في رواية الشعر الجاهلي وفي نشره ، فنحن لا نكاد نعرف رجلاً من أهل الشأم الصميمين ، قام بالشعر الجاهلي ، أو بأمر شعراء العرب في الشأم من أهل الجاهلية ، كما قام به أهل العراق . ولم تشتهر (دمشق) ولا غيرها من مدن بلاد الشأم بما قامت به مدن العراق من جمع الشعر الجاهلي على الرغم من تحمس الأمويين وكلفهم في جمعه وتدوينه .

وقد تعرض العلماء لأمر (المدينة) ، فقالوا : « فأما مدينة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، فلا نعلم بها إماماً في العربية . قال الأصمعي : أقمت بالمدينة زماناً ما رأيت بها قصيدة واحدة صحيحة إلا مصحفة أو مصنوعة .

وكان بها ابن دأب ، يضع الشعر وأحاديث السمر، وكلاماً ينسبه الى العرب، فسقط وذهب علمه وخفيت روايته ، وهو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب ، يكنى أبا الوليد ، وكان شاعراً وعلمه بالأخبار أكثر[1] . وذكر ان في جملة ما صحفه من الشعر ، قول (الحارث بن حلزة) اليشكري :

أيها الكاذب المبلغ عنا عبد عمرو وهل بذاك انتهاء

---

١ المزهر (٢/٤١٣ وما بعدها) .

وانما هو : عند عمرو[1] .

وأقدم ما لدينا من مدونات الشعر الجاهلي ، الاختيارات التي جمعها (حماد) الراوية ، المعروفة بـ (المعلقات) ، والتي عرفت بالسموط . ولعلها الديوان الذي ذكر (ابن النديم) انه أرسله الى (الوليد بن يزيد بن عبد الملك) ، فاستعان به مع ديوان آخر بعثه اليه (جناد) ، ليجمع منهما ومن غيرهما ديوان العرب وأشعارها[2] ، وقد يكون ديواناً آخر أوسع من هذا المجموع .

ويلي هذه الاختيارات ، اختيارات أخرى جمعها رجل من أهل الكوفة أيضاً، وراوية من رواة الشعر المعروفين هو (المفضل بن محمد بن يعلى) الضبي ، المتوفى سنة (١٦٤ هـ) (٧٨٠ م) ، أو (١٦٨) ، أو (١٧٠ هـ) ، على اختلاف الروايات . وقد اتخذه (المنصور) مؤدباً لابنه (المهدي) فعمل له الأشعار المختارة المسماة المفضليات ، وهي مائة وثمان وعشرون قصيدة ، وقد تزيد وتنقص ، وتتقدم القصائد وتتأخر بحسب الرواية عنه ، والصحيحة التي رواها عنه ابن الأعرابي . قال : وأول النسخة التي لتأبط شراً :

يا عيد مالك من شوق وابراق ومرّ طيف على الأهوال طراق[3]

[هذا وقد وقع في الجزء الأول من هذا الكتاب سهو، إذ سقطت لفظة(مائة) من « وهي مائة وثمان وعشرون قصيدة » ، فصارت على هذا النحو : « وهي ثمان وعشرون قصيدة ، وقد تزيد وتنقص »[4] ، ولذلك أحببت أن ألفت نظر القراء لإصلاح هذه الهفوة] .

ويلي هذه الاختيارات اختيارات أخرى جمعها (الأصمعي) ، سأتحدث عنها أثناء حديثي عنه بعد قليل،ثم اختيارات أخرى عرفت بـ (جمهرة أشعار العرب)، قد جمعت في أواخر المائة الثالثة للهجرة . « وهي مجموعة سباعية تشتمل على سبعة أقسام ، أولها المعلقات السبع،وتحمل الأقسام الستة الباقية حُلى من العناوين المختارة

---

١ المزهر (٢/٣٦٢) .
٢ الفهرست (١٤٠) .
٣ الفهرست (١٠٨) ، الاغاني (٥/١٢٥) ، بروكلمن (١/٧٣) .
٤ (٦٨) .

وهي : المجمهرات ، المنتقيات ، المذهبات ، المراثي ، المشوبات ، الملحمات »[1].

« ويسمى جامعها أبا زيد القرشي ، وقيل إن سند رواية أبي زيد هـذا ، وهو المفضل ، كان في المرتبة السادسة من سلالة الخليفة عمر بن الخطاب ، واذاً فلا بد أن حياته كانت في أواخر القرن الثالث الهجري . على ان كلا الرجلين : أبي زيد والمفضل ، مجهول بالكلية فيما عدا ذلك . ويبدو لنا ان تسميتها موضوعة على اسمي كل من أبي زيد الأنصاري النحوي المشهور وشيخه المفضل . ولكن لما كان كتاب الجمهرة معروفاً لابن رشيق (٣٩٠ – ٤٥٦ هـ / ١٠٠٠–١٠٦٤م) ، فقد يكون تم تأليفه في ملتقى القرنين الثالث والرابع للهجرة »[2] .

وهناك مجموعات أخرى مثل ديوان الحماسة لأبي تمام (المتوفى ٢٣١ هـ) ، وديوان الحماسة للبحتري (٢٠٥ – ٢٨٤ هـ) ، وحماسة (الخالديين) ، أو كتاب الأشباه والنظائر ، للأخوين : أبي عثمان سعيد (المتوفى حوالى ٣٥٠ هـ) ، وأبي بكر محمد (المتوفى ٣٨٠ هـ) ، ومجموعات أخرى معروفة ، مثل كتاب (الأغاني) لأبي الفرج الاصبهاني ، ذكرها (بروكلمن) و (جرجي زيدان) ، وغيرهما ممن بحث عن الشعر الجاهلي ، فلا حاجة بي اذن الى ذكرها في هذا المكان .

ولم يلزم رواة الشعر الأول وعلماء اللغة والنحو أنفسهم النص على اسم المنبع الذي غرفوا الشعر أو الخبر منه ، فصار من الصعب علينا ، بل من غير الممكن التعرف على السبيل الذي سلكه هذا الشعر الجاهلي من الجاهلية حتى وصل الى (حماد) الراوية ، أو (خلف) الأحمر ، أو غيرهما من رواة الشعر . ولو كانوا قد نصوا عليه ، لأمكن التثبت من صحة الشعر ، بنقد سلسلة السند ، أو المصدر المكتوب إن كان مكتوباً ، فيخفف بذلك من هذا الشك الذي يحوم حول صحة المصادر التي أخذ الرواة منها معينهم عن هذا التراث الخالد الجاهلي .

وقد اكتفى الرواة أحياناً بذكر اسم (أعرابي) ، نسبوا أخذ شعرهم أو خبرهم اليه ، اتصلوا به أثناء قدومه البصرة أو الكوفة ، أو في أثناء ذهابهم الى البادية لجمع العلم بأخبار العرب وبشعرها القديم منها ، ومعظمهم من قبائل مختارة

---

١ بروكلمن (١/٧٥) .
٢ بروكلمن (١/٧٥) .

نصوا على اسمها ، مثل تميم ، وأسد ، وهي القبائل التي ارتضى علماء اللغة الأخذ عنها ، وكان بعضهم ممن ترك البادية وعاش في الحاضرتين ، وأظهروا مقدرة وكفاءة في الرد على أسئلة العلماء ، استوجبت توثيقهم وتقديمهم ، حتى صار بعضهم من طبقة العلماء .

ولم يشر العلماء أحياناً الى اسم الأعرابي ، أو الأعراب الذين أخذوا عنهم ، بل اكتفوا بالاشارة الى أنهم سمعوا ما ذكروه من (أعرابي) ، أو من (أعرابي) فصيح ، أو من (فصحاء الأعراب) ، أو (فصحاء العرب) . ولا ندري حال هؤلاء الأعراب وحظهم من العلم والمعرفة بعلوم اللغة ، وبأمور القبيلة في الجاهلية ، وقد يصح الأخذ منهم في أمور لغوية تخص لهجة قبيلتهم ، أما في موضوع الشعر والأخبار ، فهناك مشاكل شائكة تجعل من الصعب قبول روايتهم، لمجرد أنهم أعراب ، وأنهم أعلم من الحضر بأمور قبيلتهم ، فبينهم من كان لا يبالي من التحقق بإجابته ، فيجيب حسب مزاجه وهواه .

وقد اشتهر وعرف بعض الأعراب ، حتى دخلت أسماؤهم في الكتب ، وقد دوّن (ابن النديم) أسماء جماعة منهم في باب دعاه : « أسماء فصحاء العرب المشهورين الذين سمع منهم العلماء ، وشيء من أخبارهم وأنسابهم »[1] . وقد ذكر ان من بين هؤلاء من كان معلماً ، يعلم الصبيان بأجرة ، ويؤخذ منه العلم ، وكان شاعراً ، مثل (أبو البيداء) الرباحي ، وهو أعرابي نزل البصرة ، وعلم بها ، و (أبو مالك عمرو بن كركرة) ، وكان يعلم في البادية ويورق في الحضر مولى بني سعد ، راوية أبي البيداء ، وكان عالماً باللغة ، وله رأي طريف : « يزعم ان الأغنياء عند الله أكرم من الفقراء »[2] ، و (أبو عرار) ، وهو أعرابي من (بني عجل) ، قريب من (أبي مالك) في غزارة علم اللغة ، وكان شاعراً ، وكان ممن يتصل به (جناد) و (اسحاق بن الجصاص)[3] . ولبعضهم مؤلفات،ذكر أسماءها (ابن النديم) . وقد أقام معظمهم بين الحضر ، في المدن المشهورة التي كانت تبحث عن أمثال هؤلاء ، مثل البصرة والكوفة ، ثم بغداد ، وكان أكثرهم ينظم الشعر ، ومنهم من كان كاتباً قارئاً ، طابت له

---

١ الفهرست (ص ٧١ وما بعدها) .
٢ الفهرست (ص ٧٢) .
٣ الفهرست (ص ٧٢) .

الاقامة بين الحضر ، ووجد له الرزق بينهم ، ففضل الراحة وطلب المـال على الاقامة في أرض الشح والفقر .

بعض رواة الشعر :

هناك رجال غلبت عليهم رواية الشعر ، فاشتهروا بها ، مثل حماد الراويـة وخلف الأحمر . غير ان هناك رجالاً ، اشتغلوا بالعربية والنحو ، لا يقل جهدهم في جمع الشعر الجاهلي عن جهد رواة الشعر ، منهم من جمعه لتفسير كلام الله، ومنهم من حفظه للاستشهاد به في ضبط اللغة وقواعد النحو ، حتى اننا لنجد في كتب اللغة والمعاجم وشواهد النحو ، أبيات شعر وقطع لشعراء جاهليين فات خبرها عن رواة الشعر ، ولهذا فنحن لا نستطيع فصل عمل هؤلاء عن عمل رواة الشعر ، وعدم الاشارة اليهم في أثناء حديثنا عن العلماء الذين كان لهم فضل جمع الشعر الجاهلي .

ومن أعرف رواة الشعر الجاهلي ، عامر بن شراحيل الشعبي ، المولود سنـة (٩) للهجرة والمتوفى سنة (١٠٤) أو (١٠٥) للهجرة ، و (أبو عمرو بن العلاء) المتوفى ما بين السنة (١٥١) والسنة (١٥٩) للهجرة،وحماد الراوية ، والمفضل الضبي، وخلف الأحمر ، وأبـو عمرو الشيباني ، المتوفى سنة (٢٠٥) أو (٢٠٦) ، أو (٢١٣) للهجرة ، وأبو عبيدة ، ومحمد بن السائب الكلبي المتوفى سنـة (١٤٦) للهجرة ، وابنه (هشام بن محمد بن السائب) الكلبي ، وابن الأعرابي ، وابن السكّيت ، المتوفى سنـة (٢٤٤) أو (٢٤٦) للهجرة ، والطوسي ، المتوفى في حوالى السنة (٢٥٠) للهجرة ، والسكّري،المتوفى سنة (٢٧٠) أو (٢٧٥) للهجرة والمبرد ، المتوفى سنة (٢٨٢) ، أو (٢٨٥) ، أو (٢٨٦) للهجرة[1] ، وغـيرهم ممن تجد اسماءهم في (الفهرست) لابن النديم وفي الموارد الأخرى . ويعد (أبو عمرو ابن العلاء بن عمّار بن العريان) من (خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم) المتوفى سنة (١٥٤هـ)[2] . من أعلم زمانه في الشعر واللغة ، وقـد ذكر أن

---

١ Ch. J. Lyall, Ancient Arabian Poetry, pp. XXXIX.

٢ المعارف (٥٤٠) ، أخبار النحويين ، للسيرافي (٢٨ وما بعدها) ، البداية والنهاية ، لابن كثير (١١٢/١٠) ، تهذيب الاسماء واللغات (٢٦٢/١) .

اسمه (زبّان بن العلاء بن عمار) المازني[1] . وكان عالماً بكلام العرب ولغاتها وغريبها ، وكان مشهوراً في علم القراءة والحديث واللغة والعربية[2] . وقد أخذ الشعر عن أعراب أدركوا الجاهلية ، واثنى عليه (الجاحظ) ، وأطرى على علمه ، فقال : « كان أعلم الناس بأمور العرب ، مع صحة سماع وصدق لسان. حدثني الأصمعي ، قال : جلستُ الى أبي عمرو عشر حجج ما سمعته يحتج ببيت إسلامي . قال : وقال مرة : لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت أن آمر فتياننا بروايته . يعني شعر جرير والفرزدق وأشباههما . وحدثني أبو عبيدة قال : كان أبو عمرو أعلم الناس بالغريب والعربية ، وبالقرآن والشعر ، وبأيام العرب وأيام الناس » ، « وكانت كتبه التي كتب عن العرب الفصحاء ، قد ملأت بيتاً له الى قريب من السقف ، ثم إنه تقرأ[3] فأحرقها كلها ، فلما رجع بعد الى علمه الأول لم يكن عنده إلا ما حفظه بقلبه . وكانت عامة أخباره عن أعراب قد أدركوا الجاهلية »[4] .

وقد فسر بعض المستشرقين إحراق (أبو عمرو بن العلاء) لكتبه ، على انه كان تحت تأثير أزمة دينية تدل « على ان أوساط التدين في العراق لا تنظر بعين الارتياح الى التنقيب عن بقايا الوثنية »[5] . وأشار بعض منهم الى ان الحرق تناول ما جمعه من الشعر الجاهلي ، وانه كان في أزمة زهدية لينصرف الى دراسة القرآن[6] . وهو تفسير غريب ، استنتجوه من لفظة (تقرأ) ، أي (تنسك) على ما يظهر ، وليس لهذه اللفظة صلة بالوثنية وبالشعر الجاهلي ، ولو كان الشعر الجاهلي ممقوتاً ، وجمعه وحفظه مذمومين ، لما حفظه الصحابة وترنموا واستشهدوا به ، ثم ان غيره من الزهاد مثل (أبو الأسود) الدؤلي ، كان يحفظ هذا الشعر ويستشهد به ، وقد رأينا ان الرسول ، كان يسمعه ويستشهد به ، ثم ان خبر

---

١ المزهر (٢/٣٠٤) ، البيان والتبيين (١/٣٢١) ، الفهرست (٤٨) ، بروكلمن ، تأريخ الادب العربي (١/٢٧٠) .

٢ نزهة الالباء (٢٤) ، المقتبس ، للمرزباني (٢٥ وما بعدها) ، ابن خلكان (١/٣٨٦ وما بعدها) ، الذهبي ، العبر (١/٢٢٣) .

٣ تقرأ ، تنسك .

٤ البيان والتبيين (١/٣٢٠ وما بعدها) ، ابن خلكان (١/٣٧٦) .

٥ ريجيس بلاشير ، تأريخ الادب العربي (١١٠) .

٦ المصدر نفسه (الحاشية رقم ٤) .

إحراق الكتب ، لا يشير لا تصريحاً ولا تلميحاً الى علاقته بالشعر ، ولعله خبر موضوع ، وضعه (أبو عبيدة) ، لغرض ما ، كأنه كان يريد من وضعه المبالغة في علمه وفي زهده ، أو ان حريقاً غير متعمد أصاب بعض كتبه ، فضخمه ووسعه ، وجعله إحراقاً متعمداً ، إذ لا يعقل أن يقوم هو بإحراق كتبه كلها ، ثم إن قوله : « وكانت كتبه التي كتب عن العرب الفصحاء ، قد ملأت له بيتاً الى قريب من السقف ، ثم انه تقرأ فأحرقها كلها » لا يخلو من مبالغة ، فليس من السهل على رجل كتابة هذا القدر من الكتب بالنسبة لذلك الوقت ، حيث كان الورق غالياً ، بحيث تملأ بيتاً الى قريب من السقف، ثم قيامه بإحراقها كلها بمثل هذه البساطة والسذاجة ، فهي في نظري قصة مصطنعة ، لا حقيقة فيها . ومما يؤيد سذاجة هذه القصة ، هو ان صاحبها عاد فقال انه رجع بعد الى علمه الأول ، فلم يكن أمامه عنده إلا ما حفظه بقلبه[1] ، مما يثبت انه أراد من وضعها المبالغة في علمه ، بزعمه انه كان قد حفظ ما شاء الله من العلم ، ومنه الشعر الجاهلي الذي كان يمجده ، ويرى انه وحده هو الشعر ، ولهذا لم يستشهد أو يحتج ببيت اسلامي ، مهما بلغ الشعر الاسلامي من الجودة والحسن ، لأنه شعر محدث ، والمحدث لا يقاس بالشعر الجاهلي الأصيل ، مهما بلغ من الاتقان .

وقد زعم أنه قال : « ما زدت في شعر العرب إلا بيتاً واحداً ، يعني ما يروى للأعشى من قوله :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا »[2]

ولا ندري بالطبع إذا كان هذا الكلام المنسوب الى (أبي عمرو) هو من كلامه حقاً ، أو كان من الكلام المصنوع المنحول عليه . واذا كان صحيحاً ، فان فيه تلميحاً الى أن هناك من قد اتهمه بالوضع ، جرياً على العادة التي كانت اذ ذاك من اتهام العلماء بعضهم بعضاً بالوضع ، فروي هذا الخبر في تبرير ذمته من الوضع ، وإنه لم يضع في حياته إلا البيت المذكور .

و (عوانة بن الحكم بن عياض) الكلبي ، ويكنى (أبا الحكم) ، من هذم

---

١ البيان والتبيين (١/٣٢١) .
٢ المزهر (٢/٤١٥) ، الاغاني (٣/١٤٣) .

الرعيل الذي كان له فضل في جمع الشعر . كان من علماء الكوفة،راوية للأخبار عالماً بالشعر والنسب ، وكان فصيحاً ضريراً . وله كتب . منهـا كتاب التأريخ وكتاب سيرة معاوية وبني أمية ، وقد ذكر بعضهم أنه (لمنجاب بن الحارث)، غير أن (ابن النديم) ، نص على أنه لعوانة ، وليس لمنجاب . وذكر (ابن النديم) أنه قرأ بخط (أبـي عبدالله بن مقلة) « قال أبو العبّاس ثعلب : جمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وردّ الديوان الى حماد وجناد »[1] . مما يدل على أن (الوليد) كان قد استعـار منها ديواناً كان عندهما في أشعار العرب . ولعل كل واحد منها كان قـد جمع ديواناً خاصاً به ، فاستعان (الوليد) بهما في اخراج ديوان واحد يضم مـا جاء في الديوانين من شعر . وكانت وفاة (عوانة) سنة (١٤٧ هـ) .

و (المفضل بن محمد بن يعلى الضبي) الكوفي ، المتوفى سنة (١٦٤ هـ)، (١٦٨ هـ) ، (١٧٠ هـ) ، هو من أصحاب العلم بالشعر ، وكان قد انضم الى جماعة (ابراهيم بن عبدالله بن الحسن) العلوي ، فظفر به المنصور ، وعفا عنه ، وألزمه ابنه (المهدي) ، وجعله مؤدباً له . وللمهدي عمل الأشعار المختارة المسماة (المفضليات) ، « وهي مائة وثمانٍ وعشرون قصيدة ، وقد تزيد وتنقص وتتقدم القصائد وتتأخر بحسب الرواية عنه. والصحيحة التي رواها عنه ابن الأعرابي. قال : وأول النسخة لتأبط شراً :

يا عبد ما لك من شوق وابراق ومرّ طيف على الأهوال طراق[2]

وذكر (ابن النديم) ان له من الكتب : (كتاب الاختيارات. وقد ذكرناه. كتاب الأمثال . كتاب العروض . كتاب معاني الشعر . كتاب الألفـاظ)[3] . وكتاب الاختيارات ، هو (المفضليات) ، ويظهر انه عرف بـ (المفضليات) نسبة الى الجامع ، فطغت هذه التسمية على الاسم الأصل[4] .

---

١ الفهرست (١٤٠) .
٢ الفهرست (ص ١٠٨) ، الاغاني (١٢٥/٥) ، ياقوت ، ارشاد (١٧١/٧) ، بغية الوعاة (٢٩٧/٢ وما بعدها) ، انباه الرواة (٢٩٨/٣ وما بعدها) ، ابن الانباري نزهة (٥٦) ، المعارف (٥٤٥) .
٣ الفهرست (١٠٨) .
٤ بروكلمن ، تأريخ الادب العربي (٧٢/١ وما بعدها) .

وكان المفضل عالماً بالشعر ، وكان أوثق من روى الشعر من الكوفيين . ولم يكن أعلمهم باللغة والنحو ، انما كان يختص بالشعر . وقد روى عنه (أبو زيد) شعراً كثيراً[1] .

وليست هذه القصائد التي يضمها كتاب المفضليات كلها من جمع المفضل وترتيبه على ما جاء في بعض الموارد ، وليس في هذه القصائد المطبوعة في المفضليات إلا سبعون قصيدة هي من اختيار المفضل . أما بقيتها ، فهي زيادات وإضافات وضعت على تلك القصائد[2] . وليس للمفضل منها على ما جاء في مورد آخر إلا ثمانون قصيدة هي التي أخرجها للمهدي . وأما ما تبقى منها ، فهي من اختيارات الأصمعي ، وهي أربعون قصيدة من مجموع عشرين ومئة[3] . فيكون ثلثاها على وفق هذه الرواية من اختيار المفضل . وأما الثلث الباقي ، فمن اختيار الأصمعي[4] . ولم يذكروا شيئاً عن القصائد الثماني الباقية ، وقد نص (ذيل الأماني) على أنها مائة وعشرون[5] .

ويدل هذا الإختلاف على ان رواة المفضليات لم يعتمدوا في روايتهم للكتاب على النسخة الأم ، وهي النسخة التي اختارها المفضل للمهدي . وإلا لما حدث اختلاف بين الروايات في ترتيب القصائد وفي عددها، أو أن المفضل نفسه لم يدوّن اختياراته تلك في كتاب ، وإنما اختار ما اختاره دون تدوين ، فكان يمليه على المهدي مجلساً مجلساً ، حتى أكمل تلك الإختيارات ، وأنه ألقى اختياراته هذه على من كان يحضر مجلسه طلباً للشعر في مجالس أيضاً ، فمن هنا وقع هذا الاختلاف . وقد كان يكتفي بإلقاء المختار على طلابه دون شرح . أما الشرح المطبوع، فليس من شرح الضبي وتفسيره ، وإنما هو من عمل رواة آخرين ورد ذكرهم في مقدمة الكتاب ، وليس للمفضل فيه إلا الاختيارات[6] .

---

١ المزهر (٢/٤٠٥ وما بعدها) .
٢ مقاتل الطالبيين (١١٩) ، « طبعة طهران » ، المفضليات (الترجمة الانكليزية) . Vol., II, p. XIV.
٣ ذيل الامالي (١٣٠) ، (دار الكتب المصرية) .
٤ المفضليات (الترجمة الانكليزية) . Vol., II, p. XIV.
٥ ذيل الامالي (١٣٠) .
٦ راجع النص العربي للمفضليات (طبعة لايل) ، (١) .

والشرح المطبوع هو من صنع أبي محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري وجمعه ، وقد أخذه من موارد متعددة أشار اليها في الكتاب . وقد رواه عنه ابنه أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ، وعنه أبو بكر أحمد بن محمد الجراح الخزاز . وفي جملة من اعتمد عليه أبو محمد صاحب هذا الشرح من شيوخه ، عامر بن عمران أبو عكرمة الضبي ، وقد أملى عليه القصائد المختارة المنسوبة الى المفضل « إملاءً ، مجلساً مجلساً ، من أولها الى آخرها وذكر أنه أخذها عن أبي عبدالله محمد بن زياد الأعرابي ، وذكر أنه أخذها عن المفضل الضبي »[1] : كما كان في جملتهم أبو عمرو بندار الكرخي ، وأبو بكر العبدي ، وأبو عبدالله محمد بن رستم ، والطوسي ، وأبو جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح . من هؤلاء ومن أمثالهم جمع الأنباري هذا الشرح ، وفيهم من هو من الكوفة وفيهم من هو من أهل البصرة وهم من أتباع الأصمعي ، ولهذا نجد رواياته تتداخل فيه من أبيات شعر أو قصائد لم يخترها المفضل ، ومن شرح أو تفسير لكلم غريب .

فالمفضليات وإن نسبت الى المفضل ، غير انها في الواقع من جمع الأنباري المذكور ، وقد جمعها من أفواه جملة رجال ، كل واحد منهم له فيها عمل ويد . وفق الأنباري بين تلك القصائد والأشعار وبين هذه الروايات والمعارف الواردة عن الشعر ، وأخرج منها هذا الكتاب الثمين الكبير[2] .

وللمفضل أقوال حفظت في كتب أخرى غير هذا الكتاب ، فنجد أبا زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي صاحب كتاب جمهرة أشعار العرب يذكره في مواضع من كتابه ، ويذكر نتفاً من روايات مستندة اليه[3] ، كما نجد الأصبهاني يورد له أخباراً في الشعر في مواضع عديدة من كتابه الأغاني ، ونجد غيرهما من رجال الأدب يشيرون اليه . وفي الموارد التي أشاروا اليها ما يدل على علم واسع له في الشعر وعلى إدراك في النقد .

واذا كان ما ذكره (ابن النديم) عن المفضليات من قوله : « هي مائة

---

١ المفضليات (١) (طبعة لايل) ، (النص العربي) .

٢ جواد علي ، تدوين الشعر الجاهلي ، مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد السابع) (الجزء الثاني ص ٥٢٠ وما بعدها) ، (١٩٥٦) .

٣ جمهرة أشعار العرب (القاهرة ١٩٢٦ م) .

وثمانٍ وعشرون قصيدة ، وقد تزيد وتنقص وتتقدم وتتأخر ، بحسب الرواية ، والصحيحة التي رواها عنه ابن الأعرابي ، قال : وأول النسخة لتأبط شراً :

يا عيد مالك من شوق وإبراق ومر طيف على الأهوال طراق[1]

تكون هذه النسخـــة أصح الروايات اذن ، وكان (ابن الأعرابي) المتوفى سنة (٢٣١ هـ) قد سمع المفضل ، وكان يذكر انه ربيب المفضل ، كانت أمه تحته[2] ، فلا يستبعد أن تكون نسخته ، هي النسخة الصحيحة ، لاتصاله به .

وقد ذكر (أبو جعفر محمد بن الليث الأصفهاني قال : أملى علينا أبو عكرمة الضبي المفضليات من أولها الى آخرها ، وذكر ان المفضل أخرج منها ثمانين قصيدة للمهدي ، وقرئت بعد على الأصمعي فصارت مائة وعشرين . قال ابو الحسن[3] : أخبرنا أبو العباس ثعلب ان أبا العالية الأنطاكي والسدري ، وعافية بن شبيب ، وهؤلاء كلهم بصريون من أصحاب الأصمعي ، أخبروه انهم قرأوا عليه المفضليات ثم استقرأوا الشعر فأخذوا من كل شاعر خيار شعـــره ، وضموه الى المفضليات وسألوه عما فيه مما أشكل عليهم من معاني الشعر وغريبه فكثرت جداً »[4]. وروي عن (أبي عكرمة) قوله : « مرّ أبو جعفر المنصور بالمهدي ، وهـــو ينشد المفضل قصيدة المسيب التي أولها أرحلت ... فلم يزل واقفاً من حيث لا يشعر به حتى استوفى سماعها ، ثم صار الى مجلس له وأمر بإحضارهما ، فحـدث المفضل بوقوفه واستماعه لقصيدة المسيب واستحسانه اياها ، وقال له : لو عمدت الى أشعار الشعراء المقلين واخترت لفتاك لكل شاعر أجود ما قال ، لكـــان ذلك صواباً ! ففعل المفضل »[5] .

ويلاحظ ان الرواة مختلفون فيما بينهم في عدد قصائد وقطع المفضليات ، فمنهم من جعلها مائة وثمانٍ وعشرين قصيدة وقطعة ، كما هي رواية (ابن النديم) ،

---

١ الفهرست (١٠٨) .
٢ الفهرست (١٠٨ وما بعدها) .
٣ الاخفش .
٤ ذيل الامالي (١٣٠) .
٥ ذيل الامالي (١٣٠ وما بعدها) .

ومنهم من صيرها مائة وعشرين[1] .

وأما (جنّاد) (أبو محمد بن واصل) الكوفي مولى بني أسد ، فقد كان على حدّ وصف (ابن النديم) : « أعلم الناس بأشعار العرب وأيامها » ، غير أنه « لم يكن له علم بالنحو » ، و « كان يلحن كثيراً »[2] . وهو يعدّ من الكوفيين ، وقد ذكروا أنه كثير الحفظ في قياس حمّاد الراوية ، وأن أهل الكوفة كانوا يلجأون اليه حين يشكون في شعر وحين يعزب عنهم اسم شاعر فيجدونه حافظاً وبما أرادوه عارفاً . غير أنهم مجمعون على أنه كان لحاناً ، « كثير اللحن جداً ، فوق لحن حمّاد » . وقد ذكروا أمثلة على لحنه ، وعلى عدم وقوفه على العروض ، فكان يخطىء فيه ويخلط في الأشعار[3] . وممن كان ينتقض علمه ويرى قلة بضاعته في العربية وفي الشعر أيضاً ، (يونس بن حبيب) (١٨٣ هـ) ، وهو كما رأينا من المتحاملين أيضاً على (حمّاد) ومن المتعصبين للبصرة على الكوفة ؛ ولهذا يكون لتحامله على (جناد) أثر من التعصب للبصريين .

وقد أخذ (الثوري) على أهل الكوفة روايتهم عن (حماد) ، و (جنّاد) واتكالهم عليهما ، وهما رجلان « كانا يرويان ولا يدريان ، كثرت رواياتهما ، وقلّ علمهما » ، ومن ثم فسدت روايتهم عن الرجلين . غير أن علينا أن نكون حذرين في تقبل هذه المؤاخذة على الكوفيين في رواية الشعر ، فقد كان (الثوري) من جماعة (الأصمعي) حتى كان ينسب اليه . وكان الأصمعي يحمل على حمّاد ، وعلى أهل الكوفة ، لأنه كان بصرياً ، فلا يستبعد تحمل التلميذ لاستاذه ، وتأثره به ، فقال ما قال جناد وحماد بداعي العاطفة والتعصب للبصريين على الكوفيين .

وقد أشرت الى ورود رواية تنسب الى (ثعلب) ذكرت أن (الوليد بن يزيد ابن عبد الملك) « جمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها ولغاتها ... ورد الديوان الى حماد وجناد »[4] ، مما يدل وجود ديوان للشعر عند (جناد) ، لعله كان من جمعه .

---

١ الفهرست (١٠٨) ، ذيل الامالي (١٣٠) .

٢ « من رواة الاخبار والأشعار ، لا علم له بالعربية ، وكان يصحف ويكسر الشعر ، ولا يميز بين الاعاريض المختلفة ، فيخلط بعضها ببعض » ، ياقوت ، ارشاد (٢/٤٢٥) .

٣ الارشاد (٢/٤٢٥) ، الفهرست (١٤١) .

٤ الفهرست (١٤٠) ، (أخبار عوانة) .

و (يونس بن حبيب) ، ويكنى (أبا عبد الرحمن) ، المتوفى سنة(١٨٢هـ) (١٨٣ هـ) من رواة الشعر كذلك ، وان غلب النحو عليه[١] . ذكر انه كان مولى لبني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وذكر انه من موالي ضبة . وقيل عنه : « كان أعلم الناس بتصاريف النحو ». وهو من أصحاب (أبي عمرو ابن العلاء) ، وكانت حلقته بالبصرة ، يتنابها طلاب العلم وأهل الأدب وفصحاء الأعراب ووفود البادية[٢] . وكان له مذاهب وأقيسة تفرد بها[٣] .

وذكر ان (أبا عمرو) ، وهو (اسحاق بن مراد) ، المعروف بـ (الشيباني) مولى (بني شيبان) ، كان عالماً بشعر القبائل . « أخذ عنه دواوين أشعار القبائل كلها » . ولما جمع أشعار العرب كانت نيفاً وثمانين قبيلة . وقد توفي سنة (٢٠٦ هـ) ، وقيل سنة (٢١٣ هـ)[٤] . وكان قد خرج الى البادية ليأخذ عن الأعراب ، فكان يدون ما يأخذ منهم[٥] .

و (أبو عبيدة : معمر بن المثنى) التيمي ، هو من رواة الشعر وعلمائه ، كما كان من علماء اللغة وأخبار العرب وأنسابها ، وقد عرف بالطعن في أنساب الناس وبالبحث عن المثالب ، لذلك كرهه الناس ، فلما مات لم يحضر جنازته أحد، لأنه لم يكن يسلم منه شريف ولا غيره . وقد توفي سنة ثمان وقيل تسع ، وقيل عشر وقيل إحدى عشرة ومائتين وقيل ثلاث عشرة ومائتين « وكان ديوان العرب في بيته »[٦] . وله كتب في الأخبار والحوادث والبيوت والنسب والشعر. وفي جملة مؤلفاته شرح ديوان المتلمس[٧] . ونجد له أخباراً عن أيام العرب ، مشتتة في بعض كتب الأدب[٨] ، وآراءً في الشعر مدونة في تلك الكتب أيضاً .

---

١ المعارف (٥٤١) ، بغية الوعاة (٢/٣٦٥) ، مراتب النحويين (٢١ وما بعدها) ، المزهر (٢/٣٩٩ ، ٤٢٣) ، ابن خلكان (٢/٤١٦ وما بعدها) .

٢ الفهرست (٦٩) .

٣ ابن الانباري ، نزهة (٤٩ وما بعدها) .

٤ الفهرست (١٠٧ وما بعدها) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١/٨٢) .

٥ ابن الانباري ، نزهة (٩٣ وما بعدها) ، انباه الرواة (١/٢٢١ وما بعدها) ، بغية الوعاة (١/٤٣٩ وما بعدها) ، المزهر (٢/٤١١ وما بعدها) ، شذرات الذهب (٢/٢٣ وما بعدها) .

٦ الفهرست (٨٥) ، المزهر (٢/٤٠٢ وما بعدها) ، المعارف (٥٤٣) ، انباه الرواة (٣/٢٧٦ وما بعدها) ، بغية الوعاة (٢/٢٩٤ وما بعدها) .

٧ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١/٩٤) .

٨ بروكلمن (١/١٢٨) ، ابن الانباري ، نزهة (١٠٤ وما بعدها) .

و (الأصمعي) (عبد الملك بن قريب بن عبد الملك)،المتوفى سنة (٢١٣هـ) (٢١٦ هـ) ، (٢١٧ هـ) ، من العلماء الحفاظ للشعر ، وقد بالغ مترجموه في الثناء عليه ، فزعموا أنه كان يروي على روي كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة ، وذكر (ابن النديم) أنه عمل « قطعة كبيرة من أشعار العرب، ليست بالمرضية عند العلماء لقلة غربتها واختصار روايتها »[1] . ولا تشتمل (الأصمعيات) إلا على (٧٢) قصيدة وقطعة ، ومجموع أبياتها (١١٦٣) بيتاً ، لكثرة ما فيها من المقطوعات . وعدد شعرائها واحد وستون شاعراً ، لم يسم ثلاثة منهم . وبقي خمسة مجهولين لا تعرف أسماؤهم في الموارد الأخرى . وأكثر الباقين من الجاهليين، وليس فيها إلا أربعة عشر شاعراً من المخضرمين والإسلاميين . وفيها قصيدة لكل من امرىء القيس وطرفة[2] . وقد نسب (ابن النديم) له كتاباً دعاه : «مصادر كتاب القصائد الست »[3] . وربما كان هو الكتاب الذي نشره (آلورد) برواية الأعلم الشمنتري بعنوان : دواوين الشعراء الستة[4] .

وذكر أن (الأصمعي) جمع أشعار (بني جعدة) ، وأشعار الأنصار[5] وأنه جمع (ديوان المتلمس)[6]،وديوان امرىء القيس ، وأنه روى شرح هذا الديوان لأبي عمرو الشيباني[7] . وجمع ديوان الفرزدق وجرير[8] .

وروي ان الأصمعي كان « أتقن القوم باللغة ، وأعلمهم بالشعر ، وأحضرهم

---

١ الفهرست (٨٨ وما بعدها) ، ابن الانباري ، نزهة (١١٢ وما بعدها) ، بغية الوعاة (١١٢/٢ وما بعدها) ، المزهر (٤٠٤/٢ وما بعدها) .

٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٧٤/١ وما بعدها) ، المعارف (٥٤٣) ، « وقد بلغ عدد قصائدها ومقطوعاتها اثنتين وتسعين ، وهي موزعة على ٧١ شاعرا ، منهم نحو ٤٠ جاهليا » ، العصر الجاهلي ، لشوقي ضيف (١٧٨) .

٣ الفهرست (٨٨) .

٤ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٨٨/١) ،
W Ahlward, The Diwan of the six ancient Arabic Poets, London, 1870.

٥ الاغاني (١٧١/٥) ، (٨٢/١٩ وما بعدها) ، بروكلمن (٨٤/١) .

٦ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (٩٤/١) .

٧ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١٠٠/١) .

٨ المصدر نفسه (٢١٢/١ ، ٢١٣ ، ٢٢٢) .

حفظاً ، وكان قد تعلم نقد الشعر من خلف الأحمر »[1] . وروي انه كان يقول أحفظ عشرة آلاف أرجوزة . وان الرشيد يسميه شيطان الشعر ، وروي انه كان يحفظ ستة عشر ألف أرجوزة[2] .

و (ابن الأعرابي) ، (أبو عبدالله محمد بن زياد الأعرابي) ، ممن سمع من (المفضل) الضبي ، وكان يذكر انه ربيب المفضل . كانت أمه تحته . ومات سنة (٢٣١ هـ) . فروايته للاختيارات ، يجب أن تعدّ من أصدق الروايات ، لاتصاله بالمفضل ، ولصلته به . وكان له مجلس ، يحضره طلاب العلم ، يسألونه فيه ويقرأ عليه ، فيجيب من غير كتاب . وكان ممن لازمه بضع عشرة سنة (أبو العباس) ثعلب . ويذكر (ثعلب) ان شيخه هذا « قد أملى على الناس ما يحمل على أجمال . لم ير أحد في الشعر أغزر منه »[3] . وقد أورد (ابن النديم) له جملة كتب ، روى بعضها عنه جماعة من مشاهير العلماء ، مثل (الطوسي) و (ثعلب)[4] . وذكر ان روايته للمفضليات تعدّ من أصح الروايات[5] . وقد سمع من المفضل الدواوين وصححها ، واعتبر رأساً في كلام العرب ، وكان من أكابر علماء اللغة المشار اليهم في معرفتها[6] .

وقد رمي بعض من جمع الشعر بالوضع وبانتحال الشعر وإدخاله في شعر القدماء، واتهموا بدس القصائد عليهم ، أو بزيادتها أو بتنقيص أبيات منها ، أو بإجراء تغيير عليها . وقد تمكن بعض علماء الشعر من الإشارة الى بعض الشعر المصنوع، أو المدخول ، ولم يتمكنوا من الإشارة الى البعض الآخر منه . ومن هؤلاء الذين عرفوا واشتهروا برواية الشعر وبعلمهم به ، وبصنعهم له ، ودسه بين الناس على أنه شعر قديم : حماد الراوية وخلف الأحمر .

فأما (حماد) الراوية فعلى رأس مشاهير رواة الشعر الجاهلي وحفاظه . وقد كان هو نفسه شاعراً مجيداً يضع الشعر على ألسنة المتقدمين ، لكنه اشتهر بالرواية

---

١ المزهر (٢/٤٠٣) .
٢ الرافعي (٣/١٥) .
٣ الفهرست (١٠٨ وما بعدها) .
٤ الفهرست (١٠٩) .
٥ ابن الانباري ، نزهة (٥٦) .
٦ ابن الانباري ، نزهة (١٥٠ وما بعدها) ، بغية الوعاة (١/١٠٥ ومـا بعدها) ، المعارف (٥٤٦) ، المزهر (٢/٤١١) ، مراتب النحويين (١٤٩ وما بعدها) ، ابن الاثير ، الكامل (٥/٢٧٥) .

أكثر من اشتهاره بكونه شاعراً . ولد سنة (٧٥) للهجرة (٦٩٤ م) بالكوفة، وهو من (الديلم) في الأصل ، وعرف بـ (أبي القاسم) . وعرف والده بـ (سابور ابن المبارك بن عبيد) . سباه (ابن عروة بن زيد الخيل) ، ووهبه لابنتـــه (ليلى) فخدمها خمسين سنة ، ثم ماتت فبيع بمائتي درهم ، فاشتراه (عامر بن مطر الشيباني) وأعتقه . وقيل إن اسم أبـي (ليلى) (ميسرة) . وكان حمّـاد ربما لحن في الشيء . وقيل إنه كان لصاً في شبابـه ، يتشطر ويصحب الصعاليك واللصوص ، فوجد في بعض سرقاته جزءاً من شعر الأنصار ، فقرأه واستعذبـه وحفظه ، ثم اندفع في طلب الشعر وأيام النـــاس ولغات العرب[1] . وأخذ ينظم الشعر يشبه به مذهب شاعر مـــن الشعراء ويدخله في شعره ، وكان هو بالشعر القديم بصيراً ، وحمل ذلك عنه في الآفاق ، فاختلط شعره بشعر الشعراء الجاهليين، وذاع بين الناس على أنه لهم ، حتى صار من الصعب حتى على نقاد ذلك الشعر والعالمين به ، تمييز الفاسد منه من الصحيح[2] .

وذكر ان (حماداً) ، هو (حماد بن هرمز) ، وكان (هرمز) من سبي (مكنف بن زيد الخيل) وكان ديلمياً ، يكنى (أبا ليلى)[3] . واذا أخذنا برواية (ابن النديم) من ان مولد (حماد) كان سنة (خمس وسبعين) ، ومن أن وفاته كانت سنة ست وخمسين ومائة[4] ، فيكون حينئذ قد عمر (٨١) سنة .

ويذكر (ابن النديم) ان (حماداً) كان في أيام (الوليد بن عبد الملك) ، وعاش الى سنة (١٥٦ هـ) ، وانه كان يقول : « كنت أنشد الوليد الشعـــر الجيد ، فيطلب مني السفساف فأنشده فيطرب ، فأعلم ان الأمر مدبر ، ثم أنشد المهدي السفساف ، فيطلب مني الجيد الفحل ، فأعلم ان أمرهم مقبل »[5] . وذكر عنه انه كان يجالس (المهدي) . وذكر ان « الوليد بن يزيد بن عبـــد الملك

---

١ الاغاني (٦/ ٨٧) ، الخزانة (٤/ ١٣١ وما بعدها) ، (بولاق) .
٢ بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١/ ٢٤٥ وما بعدها) ، الفهرست ، لابن النديم (١٤٠) ، الاغاني (٥/ ١٦٣) ، ابن خلكان (١/ ٢٠٥) ، (في ترجمة حماد) ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، تدوين الشعر الجاهلي ، المجلد الرابع (ح ٢/ ٥٢٧ وما بعدها) ، (١٩٥٦ م) .
٣ المعارف (٥٤١) ، ابن الانباري ، نزهة (٣٥ وما بعدها) ، الاغاني (٦/ ٧٠ وما بعدها) ، خزانة الادب (٤/ ١٢٩ وما بعدها) ، المزهر (٢/ ٤٠٦) .
٤ الفهرست (ص ١٤٠) .
٥ الفهرست (ص ١٤٠ وما بعدها) .

جمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ورد الديوان الى حماد وجناد »[1]. ولم يشر (ابن النديم) الذي روى هذا الخبر نقلاً عن رواية تنسب الى (ثعلب) الى ديوان حماد المذكور في أثناء تحدثه عنه . فلعله قصد (الاختيارات) ، أي القصائد السبع، وقد يكون قصد ديواناً آخر . ولم نسمع أي خبر عن مصير الديوان الذي جمعه الوليد بن يزيد .

ويذكر (ابن النديم) أنه « لم يُرَ لحماد كتاب ، وإنما روى عنه الناس وصنفت الكتب بعده »[2] . وهو خبر يظهر أن حمّاداً لم يؤلف كتباً ، وإنما كان يروي الشعر رواية ، ويمليه املاء على طلاب الشعر ، فيدوّنونه . أما أن تصنيف الكتب لم يكن معروفاً آنذاك ، وانما الناس صنفت الكتب بعده ، فيناقضه ما قاله (ابن النديم) نفسه ، من أن (زياد بن أبيه) ، ألف كتاباً في المثالب ، ودفعه الى ولده ، وقال ، استظهروا به على العرب فإنهم يكفون عنكم[3] ، ومن أن (عبيد ابن شرية) الجرهمي ، ألف كتاب الأمثال ، وكتاب الملوك وأخبار الماضين[4] ، وقد طبع له كتاباً في (حيدر آباد) بالهند ، بعنوان : أخبار عبيد بن شرية الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها ، وهو يشتمل على أسئلة لمعاوية وأجوبة عبيد عليها ، وما قاله من أن (صحاراً) العبدي له كتاب اسمه كتاب الأمثال[5]، وما قاله من أن لعوانة بن الحكم بن عياض الكلبي ، المتوفى سنة (١٤٧ هـ) ، أي قبل (حمّاد) من الكتب : كتاب التأريخ ، كتاب سيرة معاوية وبني أمية[6] ، أضف الى ذلك ما ألفه (وهب بن منبه) المتوفى سنة (١١٤ هـ)[7]،و(أبو مخنف)، و (ابن شهاب) الزهري ، و (ابن سيرين) وغيرهم[8] .

وقد روى أهل الأخبار قصصاً عن مدى علم (حماد) بالشعر الجاهلي. وزعموا

---

١ الفهرست (ص ١٤٠) .
٢ الفهرست (ص ١٤٠) .
٣ الفهرست (١٣٧) ، (المقالة الثالثة) ، المعارف (١٧٦) ، النووي ، تهذيب الاسماء واللغات (١/٢٥٩) .
٤ الفهرست (ص ١٣٨) .
٥ الفهرست (ص ١٣٨) .
٦ الفهرست (١٤٠) .
٧ بروكلمن (١/٢٥١ وما بعدها) .
٨ راجع أخبارهم في بروكلمن (١/٢٥٣ وما بعدها) .

ان خلفاء بني أمية كانوا اذا أشكل عليهم مشكل في الشعر سألوه ، وانهم كانوا يكتبون الى عمالهم بإرساله اليهم لاستفتائه في أمر شعر جاهلي أشكل خبره عليهم وعلى من عندهم من أهل العلم بالشعر . من ذلك ما رووه عن (حماد) قوله : « كان انقطاعي الى يزيد بن عبد الملك بن مروان في خلافته . وكان أخوه هشام يجفوني لذلك ، فلما مات يزيد وأفضت الخلافة الى هشام خفته ومكثت في بيتي سنة لا أخرج إلا لمن أثق به من اخواني سراً ، فلما لم أسمع أحداً ذكرني في السنة أمنت وخرجت وصليت الجمعة في الرصافة ، فإذا شرطيان قد وقفا عليّ وقالا : يا حماد أجب الأمير يوسف بن عمر الثقفي ، وكان والياً على العراق : فقلت في نفسي من هذا كنت أخاف. ثم قلت لهما تدعاني حتى آتي أهلي وأودعهم ثم أسير معكما ! فقالا : ما الى ذلك من سبيل . فاستسلمت في أيديهما ، ثم صرت الى يوسف بن عمر ، وهو في الإيوان الأحمر ، فسلّمت عليه ، فردّ عليّ السلام ورمى إلي بكتاب فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله هشام أمير المؤمنين الى يوسف بن عمر . أما بعد ، فإذا قرأت كتابي هذا فابعث الى حماد الراوية من يأتيك به من غير ترويع وادفع له خمسمائة دينار وجملاً مهرياً يسير عليه ثنتي عشرة ليلة الى دمشق . فأخذت الدنانير ونظرت ، فإذا جمل مرحول فركبت وسرت حتى وافيت دمشق في ثنتي عشرة ليلة ، فنزلت على باب هشام،واستأذنت فأذن لي فدخلت عليه وهو جالس على طنفسة حمراء وعليه ثياب من حرير أحمر وقد ضمخ بالمسك ، فسلمت عليه ، فردّ عليّ السلام ، واستدناني فدنوت منه حتى قبلت رجله ، فإذا جاريتان لم أر أحسن منهما قط . فقال : كيف أنت وكيف حالك ؟ فقلت بخير يا أمير المؤمنين . فقال : أتدري فيما بعثت اليك ؟ فقلت : لا . قال : بعثت اليك بسبب بيت خطر ببالي لا أعرف قائله . قلت : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال :

ودّعوا بالصبوح يوماً فجاءت قينة في يمينها ابريق

فقلت يقوله عدي بن يزيد (؟) العبادي في قصيدة . قال : أنشدنيها ، فأنشدته:

بكر العاذلون في وضح الصبـ ـح يقولون لي أما تستفيق
ويلومون فيك يا ابنة عبدالله والقلب عنكم موثوق
لست أدري إذا كثر العذل فيها أعذول يلومني أم صديق

قال حمّاد : فانتهيت فيها الى قوله :

ودّعوا بالصبوح يوماً فجاءت قينة في يمينهـا ابريق
قدمته عـلى عقار كعين الـ ـديك صفى سلافها الرووق
مرة قبل مزجها ، فإذا مـا مزجت لذّ طعمها من يذوق

قال : فطرب هشام ، ثم قال : أحسنت يا حمّاد ، سلْ حاجتك ؟ قلت : احدى الجاريتين . قال : هما جميعاً لك بما عليهما وما لهما ، فأقام عنده مدة ، ثم وصله بمائة ألف درهم »[1].

وكل من تحدث عن حمّاد من مبغض ومحبّ ، مجمع على سعة حفظه للشعر وإحاطته به . وحفظه هذا الشعر هو الذي وسمه بسمة عرف بها طَوال حياته وبعد وفاته ، حتى صار لا يعرف إلا بها ، هي : (الراوية) ، فقيل له حماد الراوية. ولو جرّد حماد من هـذا النعت ، لما صار في الإمكان التعرف عليه . قيل إن الخليفة (الوليد بن يزيد) قال لحماد الراوية : بمَ استحققت هذا اللقب ، فقيل لك الراوية ؟ فقال : بأني أروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به، ثم أروي لأكثر منهم ممن تعرف أنك لم تعرفه ولم تسمع به ، ثم لا أنشد شعراً قديماً ولا محدثاً إلا ميزت القديم منه من المحدث . فقال ، إن هذا العلم وأبيك كثير ! فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال : كثيراً ، ولكني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مئة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام . قـال : سأمتحنك في هـذا ، وأمره بالانشاد . فأنشد الوليد حتى ضجر ، ثم وكل به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفي عليـه ، فأنشده ألفين وتسع مئة قصيـدة للجاهليين ، وأخبر الوليد بذلك ، فأمر له بمئة ألف درهم[2] .

وفي الأغاني خـبر آخر من هذا النوع يطري علم حماد ويثني عليه ، روي

---

١ ثمرات الاوراق ، لابن حجة الحموي (١/٨١) ، (حاشية على المستطرف) ، ابن الانباري ، نزهة (٣٥ وما بعدها) ، الاغاني (٦/٧٠ وما بعدها) .

٢ الاغاني (٦/٧١) ، ابن خلكان (٥/١٢٠ وما بعدها) ، الخزانة (٤/١٢٩ وما بعدها) ، (بولاق) ، ياقوت ، ارشاد (١٠/٢٥٩) .

عن الشاعر (مروان بن أبي حفصة) . زعم أنه رآه عند (الوليد بن يزيد). وكان قد دخل عليه في جماعة من الشعراء ، « وهو في فرش قد غاب فيها ، وإذا رجل عنده ، كلما أنشد شاعر شعراً ، وقف الوليدَ بن يزيد على بيت من شعره ، وقال : هذا أخذه من موضع كذا وكذا ، وهذا المعنى نقله من موضع كذا وكذا من شعر فلان ، حتى أتى على أكثر الشعر ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : حماد الراوية . فلما وقفت بين يدي الوليد أنشده ، قلت : ما كلام هذا في مجلس أمير المؤمنين، وهو لُحنة لحّانة ؟ فأقبل الشيخ علي وقال : يا ابن أخي ، إني رجل أكلم العامة فأتكلم بكلامها ، فهل تروي من أشعار العرب شيئاً؟ فذهب عني الشعر كله إلا شعر ابن مقبل ، فقلت له : نعم ، شعر ابن مقبل، قال : أنشد ، فأنشدته قوله :

سل الدار من جَنبي حِبرَ فواهبٍ إذا ما رأى هَضْبَ القليب المُفجع

ثم جزتُ ، فقال لي : قف ، فوقفت ، فقال لي : ماذا يقول ؟ فلم أدرِ ما يقول ! فقال لي حماد : يا ابن أخي ، أنا أعلم الناس بكلام العرب . يقال تراءى الموضعان إذا تقابلا »[1] .

وقد كان الخليفة (الوليد بن يزيد) يعطف على حماد كثيراً ، ويشمله برعايته، ومجالسه ، ويتباحث معه في الشعر . وقد كانت إحاطة حماد بالشعر هي السبب في تقدمه الى الخليفة ، إذ كان الوليد من العاشقين للشعر ومن الواقفين عليه المعروفين بسعة العلم به ، وكان هو نفسه شاعراً مجيداً[2] . وقد ذكر عنه انه كان يمتلك ديواناً فيه أشعار الفحول ، أو جملة دواوين جمعت أشعار العرب ، كما سبق أن أشرت الى ذلك .

ويروى عن حماد انه كان ذا ذاكرة عجيبة ، وحافظة قوية غريبة في سرعة الحفظ . روي ان (الطرمّاح بن حكيم) قصّ على ابنه هذه القصة ، قال :

---

١ الاغاني (٦/٧٢) ، الزجاجي ، مجالس العلماء (٧ ٢وما بعدها) .

٢ جمع شعر الوليد بن يزيد ورتبه المستشرق الايطالي ف . جبريالي ، ونشره المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٣٧ م ، بعنوان : ديوان الوليد بن يزيد ، وقدم له المرحوم خليل مردم بك .

أنشدت حماداً الراوية في مسجد الكوفة ــ وكان أذكى الناس وأحفظهم ــ قولي:

بان الخليط بسحرة فتبددوا

وهي ستون بيتــاً : فسكت ساعة ولا أدري ما يريد ، ثم أقبل عليّ فقال : أهذه لك ؟ قلت : نعم ، قال : ليس الأمر كما تقول ، ثم ردهـا عليّ كلها وزيادة عشرين بيتاً زادها فيها في وقته ، فقلت له : ويحك ! إن هــذا الشعر قلته منذ أيام ، ما اطلع عليه أحد ، قال : قــد والله قلت أنا هذا الشعر منذ عشرين سنة ، وإلا فعليّ وعليّ ، فقلت : لله عليّ حجة حافياً راجلاً إن جالستك بعد هذا أبداً . فأخذ قبضة من حصى المسجد وقال : لله عـليّ بكل حصاة من هذا الحصى مئة حجة إن كنت أبالي ، فقلت ، أنت رجل ماجن، والكلام معك ضائع . ثم انصرفت »[1] .

وقد أخـذ عن (حماد) أهل المصرين : الكوفة والبصرة ، ومنهم : خلف الأحمر ، وروى عنه الأصمعي شيئاً من شعـره . ونسب الى (الأصمعي) قوله : « كل شيء في أيدينا من شعر امرىء القيس ، فهو عن حماد الراوية إلا شيئــاً سمعناه من أبي عمرو بن العلاء »[2] .

وللهيثم بن عدي خبر يشيد فيه بعلم حماد وبسعة حفظه له . وهناك أخبار أخرى في سعة حفظ حماد للشعر ، مدونة في كتب الأدب ، قد يخرجنا سردها من صلب هذا الموضوع[3] .

وقد عرف حماد كذلك بسعة علمه بالعربية ، فقالوا انه « كان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها » . وورد عن الهيثم بن عدي قوله فيه : « ما رأيت رجلاً أعلم بكلام العرب من حماد »[4] ، والهيثم راويته وصاحبه. وروي ان عمرو بن العلاء كان يقدم حماداً على نفسه ، وكان حماد يقدم عمراً على نفسه[5] ، وعمرو بن العلاء نفسه من شيوخ علماء العربية في ذلك العهد .

---

١ الاغاني (٦/٩٤ وما بعدها) .
٢ المزهر (٢/٤٠٦) ، ابن الانباري ، نزهة (٥٩) .
٣ الاغاني (٢/٢٠٩ وما بعدها) ، (٦/٧٢) ، (٧/٤٥ ، ٥٦ وما بعدها) .
٤ الاغاني (٦/٧٠ وما بعدها) ، ياقوت ، ارشاد (١٠/٢٦٥) .
٥ الاغاني (٦/٧٣) .

غير أن هنالك أخباراً تزعم أنه كان « قليل البضاعة من العربية » ، وأنه كان لحّاناً ، وأنه « حفظ القرآن الكريم من المصحف ، فصحف في نيف وثلاثين حرفاً »[1] ، وأنه قرأ « الغاديات ضبحاً » (بالغين المعجمة) ، فسعى به الى (عقبة بن مسلم بن قتيبة) الباهلي ، فامتحنه بالقراءة في المصحف، فصحف في عدة آيات[2] . ولا استبعد وقوع اللحن منه ، إذ كان من الموالي ، بعد أن وقع اللحن من عرب خلص ومن أنبل الأسر العربية ومن بعض كبار رجال الدولة في ذلك العهد . غير أن في هذا الوارد عن قلة بضاعته في العربية وفي كثرة لحنه وتصحيفه في القرآن الكريم، مبالغات وزيادات ، وضعها عليه حساده ومنافسوه ولا شك ؛ إذ لا يعقل وقوع مثل هذه الأغلاط الشنيعة من رجل وصل الى الخلفاء برواية الشعر وبتفسيره وتفسير غريبه، وعرف بين العلماء بسعة علمه بلغات العرب ، حتى كانوا يلجأون اليه في حل مشكلها وغريبها . ولو كان على مثل ما ذكر من اللحن في الكلام والتصحيف فيه ومن قلة بضاعته في العربية ، لما وصل الى الوليد بن يزيد والى هشام والى خلفاء آخرين ، وقد كانوا لا يختارون في الشعر واللغة إلا الفطاحل القديرين . قال المدائني : « وكانت ملوك بني أمية تقدمه ، وتؤثره ، وتستزيده ، فيفد عليهم ، ويسأله عن أيام العرب وعلومها ، ويجزلون صلته » .

ولم يكن (حماد) عند أهل البصرة ثقة ولا مأموناً ، وكانوا يضعفونه . ذكروا انه كان يصنع الشعر ويقتني المصنوع منه وينسبه الى غير أهله . ورووا ان أعرابياً جاء مجلس (حماد) فأنشده قصيدة لم تعرف ، ولم يدر لمن هي ، فقال حماد : اكتبوها ، فلما كتبوها ، وقام الأعرابي ، قال : لمن ترون أن نجعلها ؟ فقالوا أقوالاً ، فقال حماد : اجعلوها لطرفة[3] . وروي انه قدم البصرة على (بلال بن أبي بردة) ، فقال ما أطرفتني شيئاً ، فعاد اليه فأنشده القصيدة التي في شعر الحطيئة مديح أبي موسى . فقال : ويحك يمدح الحطيئة أبا موسى لا أعلم به وأنا أروي للحطيئة ولكن دعها تذهب في الناس[4] .

---

١ ابن خلكان (١/٢٠٧) .
٢ ابن خلكان (٥/١٢٩) ، (حاشية رقم ١) ، (طبعة الدكتور أحمد فريد رفاعي) ، الموشح للمرزباني (١٩٥) ، (القاهرة ١٣٤٣) .
٣ المزهر (٢/٤٠٦) .
٤ طبقات ، لابن سلام (١٥) .

وقد اتهم (حماد) بالوضع ، قال (محمد بن سلام الجمحي) : « وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها ، حماد الراوية ، وكان غير موثوق به . وكان ينحل الشعر غيره ، ويزيد في الأشعار »[1] ، وقال : (يونس بن حبيب) : « إني لأعجب كيف أخذ الناس عن حماد ، وكان يكذب ويلحن ويكسر الشعر ، ويصحف ويكذب »[2] . وروي عن الأصمعي قوله : « جالست حماداً الراوية ، فلم آخذ عنه ثلاثمائه حرف ، ولم أرض روايته وكان قارئاً »[3] . وروي عنه أيضاً قوله : « كان حماد أعلم الناس إذا نصح » ، يعني إذا لم يزد وينقص في الأشعار والأخبار ، فإنه كان متهماً بأنه يقول الشعر وينحله شعراء العرب . وهؤلاء كلهم من رؤساء البصرة في العلم ، وقد كان علماء هذه المدينة، يطعنون كما سبق أن قلت في علمه وفي أمانته ، ولكنهم يعترفون مع ذلك بقابليته وبمواهبه في الشعر ، حتى زعموا أنه كان إذا صنع الشعر على لسان شاعر جاهلي ، صعب حتى على العلماء ، استخراجه من الصحيح .

وقد أدخله الشريف (المرتضى) في عداد الزنادقة الملحدين المتهمين في دينهم ، ومنهم الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وحماد الراوية ، وحماد بن الزبرقان ، وحماد عجرد ، وعبدالله بن المقفع ، وعبد الكريم بن أبي العوجاء ، وبشار بن برد ، ومطيع بن اياس ، ويحيى بن زياد الحارثي ، وصالح بن عبد القدوس الأزدي ، وعلي بن خليل الشيباني ، وقال عن (حماد) : « وأما حماد الراوية ، فكان منسلخاً من الدين ، زارياً على أهله ، مدمناً لشرب الخمور وارتكاب الفجور »[4] . ونقل عن (الجاحظ) انه كان يجتمع مع أمثاله « على الشرب وقول الشعر ، ويهجو بعضهم بعضاً ، وكل منهم متهم في دينه » . وقال عنه : « وكان حماد مشهوراً بالكذب في الرواية وعمل الشعر، واضافته الى الشعراء المتقدمين ودسّه في أشعارهم ، حتى إن كثيراً من الرواة قالوا : قد أفسد حماد الشعر، لأنه كان رجلاً يقدر على صنعته فيدس في شعر كل رجل منهم ما يشاكل طريقته، فاختلط لذلك الصحيح بالسقيم »[5] .

---

١ طبقات الشعراء (١٤) .
٢ طبقات ابن سلام (١٥) ، المزهر (٢/٤٠٦) .
٣ المعارف (٥٤١) ، المزهر (٢/٤٠٧) .
٤ أمالي المرتضى (١/١٢٨ ، ١٣١ وما بعدها) .
٥ أمالي المرتضى (١/١٣١ وما بعدها) .

و « روي أن هارون الرشيد قال للمفضل بن محمد : كيف بدأ زهير بقوله:

دع ذا وعد القول في هرم

ولم يتقدم قبل ذلك شيء ينصرف عنه . فقال المفضل : قد جرت عادة الشعراء بأن يقدموا قبل المديح نسيباً ، ووصف إبل وركوب فلوات ، ونحو ذلك . فكأن زهيراً همّ بذلك ، ثم قال لنفسه : دع هذا الذي هممت به مما جرت به العادة، واصرف قولك الى مدح هرم . فهو أولى من صرف اليه القول ونظم ، وأحق من بدىء بذكره الكلام وختم . فاستحسن الرشيد قوله . وكان حماد الراوية حاضراً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ليس هذا أول الشعر ، ولكن قبله :

لمن الديار بقنة الحجرِ

وذكر الأبيات الثلاثة . فالتفت الرشيد الى المفضل وقال : ألم تقل إن (دع ذا ...) أول الشعر ، فقال : ما سمعت بهذه الزيادة إلا يومي ، ويوشك أن تكون مصنوعة . فقال الرشيد لحماد : أصدقني ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا زدت هذه الأبيات . فقال الرشيد : من أراد الثقة والرواية الصحيحة فعليه بالمفضل ، ومن أراد الاستكثار والتوسع فعليه بحماد »[1] .

والقصة بهذا الشكل مصنوعة ، فالمعروف ان وفاة (حماد) كانت سنة (١٥٦هـ) وان ولاية (الرشيد) للخلافة كانت سنة (١٧٠ هـ) . فلا يعقل التقاء (حماد) بالرشيد أيام خلافته . ومخاطبته له بـ (يا أمير المؤمنين) . ثم إن من الصعب تصور اعتراف (حماد) بإضافة أشعار من عنده على شعر الجاهليين بمثل هذه الصورة والبساطة ، وهو في حضرة خليفة . والأغلب انها وضعت على حماد من خصومه ، للطعن به ، وللرفع من شأن (المفضل بن محمد) الضبي .

وقد وردت هذه القصة بشكل آخر ، وردت انها وقعت في أيام (المهدي) ، روي ان جماعة من العلماء « كانوا في دار أمير المؤمنين المهدي بعيساباذ ، وقد اجتمع فيها عدة من الرواة والعلماء بأيام العرب وآدابها وأشعارها ولغاتها ، إذ خرج بعض أصحاب الحاجب ، فدعا بالمفضل الضبي الراوية ، فدخل ، فمكث ملياً ،

---

١ السيوطي ، شرح شواهد (٢/٧٥٤) .

ثم خرج الينا ، ومعه حماد والمفضل جميعاً ، وقد بان في وجه حمـاد الانكسار والغم ، وفي وجه المفضل السرور والنشاط ، ثم خرج حسين الخادم معهما ، فقال: يا معشر من حضر من أهل العلم ، إن أمير المؤمنين يعلمكم انه قد وصل حماداً الشاعر بعشرين ألف درهم لجودة شعره ، وأبطل روايته لزيادته في أشعار الناس ما ليس منها ، ووصل المفضل بخمسين ألفاً لصدقه وصحة روايته . فمن أراد أن يسمع شعراً جيداً محدثاً فليسمع من حماد ، ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضل . فسألنا عن السبب ، فأخبرنا ان المهدي قال للمفضل لما دعا به وحده: اني رأيت زهير بن أبـي سلمى افتتح قصيدته بأن قال :

دع ذا وعدّ القول في هرم

ولم يتقـدم له قبل ذلك قول ، فما الذي أمر نفسه بتركه ؟ فقال له المفضل : ما سمعت يا أمـير المؤمنين في هذا شيئاً ، إلا أني توهمته كان يفكر في قول يقوله ، أو يروى في أن يقول شعراً ، فعدل عنه الى مدح هرم وقال: (دع ذا)، أو كان مفكراً في شيء من شأنه فتركه وقال : « دع ذا » ، أي دع مـا أنت فيه من الفكر وعدّ القول في هرم ، فأمسك عنه . ثم دعا بحماد ، فسأله عن مثل ما سأل عنه المفضل ، فقال : ليس هكذا قال زهير يا أمير المؤمنين ، قال : فكيف قال ؟ فأنشده :

لمن الديار بقنة الحجر أقوين مذ حجج ومذ دهر ؟
قفر بمندفع النحائث من ضفوى أولات الضال والسدر
دع ذا وعدّ القول في هرم خير الكهول وسيد الحضر

قال : فأطرق المهدي ساعة، ثم أقبل على حماد فقال له : قد بلغ أمير المؤمنين عنك خبر لا بد من استحلافك عليه . ثم استحلفه بإيمان البيعة وكل يمين محرجة ليصدقنه عن كل ما يسأله عنه ، فحلف له بما توثق منه . قال لـه : أصدقني عن حال هذه الأبيات ومن أضافها الى زهير ، فأقر له حينئذ أنه قائلها . فأمر فيه وفي المفضل بما أمر به من شهرة أمرهما وكشفه »[1] .

---

١ الاغاني (٦/٨٩ وما بعدها) ، الخزانة (٤/١٢٨ وما بعدها) ، (بولاق) .

فأنت ترى أن هذه القصة تكاد تكون القصة السابقة نفسها ، لولا ما أدخل عليها من ذكر اسم (المهدي) بدل الرشيد ومن تزويقات ، وهي أقرب الى الواقع من حيث الزمن من الأولى ، فقد أدرك (حماد) أيام خلافة المهدي . أما من حيث الصحة أو الكذب ، فربما كانت من وضع أعداء حماد عليه ، أو من وضع المتعصبين للمفضل الضبي المرجحين علمه على علم حماد .

وفي القصة الثانية موطن شك أيضاً ، فالمعروف أن خلافة المهدي كانت سنة (١٥٨ هـ) ، وانه اتخذ داره بعيساباذ بعد توليه الخلافة ، وقد كانت وفاة حماد سنة (١٥٦ هـ) ، أي قبل توليه امارة المؤمنين . فيظهر أنها من الموضوعات التي وضعت على حماد ، ربما وضعها أصحاب (المفضل) لتعظيم أمر صاحبهم،وللحط من شأن حماد . وقد كان (المفضل) يكره (حماداً) الراوية ، ويطعن في علمه ، بسبب تنافس الرجلين على الزعامة في العلم .

وأكثر هذه التهم التي وجهت الى علم حماد والى جهله بالعربية ، وبالعروض، إنما هي تهم وجهها اليه أهل البصرة ، عصبية لمدينتهم ولرجالهم ، وما اتهام (ابن سلام) و (يونس بن حبيب) لحماد ، بالتهم المذكورة ، سوى ترديد لهذه العصبية الضيقة ، وللخصومة على الزعامة التي كانت بين المدينتين . و(يونس ابن حبيب) الذي يحمل على حماد ، ويتهمه باللحن ، قد اتهم نفسه بتهمة اللحن، اتهمه خصومه أهل الكوفة بالطبع ، ونجد مثل هذه الاتهامات من تجهيل العلماء بعضهم بعضاً بقواعد العربية وبالوقوع في اللحن ، في صفحات الكتب الباحثة في المناظرات وفي التراجم،وفي كتب الأخبار والأدب ، حتى يكاد يكون من الصعب علينا العثور على عالم ، نقول إنه سلم من سهم من سهام النقد والتجريح .

ويظهر ان المنافسة على الزعامة في العلم بالشعر الجاهلي ، جعلت (المفضل الضبي) ينال من (حماد) ، ويظهر أثر هذه المنافسة فيما ينسب الى (الضبي) من أقوال ذكر انه قالها في (حماد) مثل قوله : « قد سُلط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده ، فلا يصلح أبداً » . فقيل له : « وكيف ذلك ؟ أيخطىء في رواية أم يلحن ؟ قال : « ليته كان كذلك ، فإن أهل العلم يردون من أخطأ الى الصواب ، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره ، ويحمل ذلك عنه في الآفاق ، فتختلط أشعار القدماء ، ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم

ناقد ، وأين ذلك ؟ »[1] .

و (ابن الأعرابي) ، الذي يروي انتقاص (المفضل) الضبي لحماد ، هو على ما يذكر ربيب المفضل ، كانت أمه تحته[2] ، فلا أستبعد تأثره بحنق الضبي على حماد ، بسبب المنافسة التي كانت بينه وبين حماد .

وقد اتهم حماد بالزندقة ، كما اتهم بها حماد عجرد ، ومطيع بن إياس ، ويحيى بن زياد ، وعلي بن الخليل ، وصالح بن عبد القدوس ، وبشار ، وأبي نواس. وقد وصف (الجاحظ) الزنادقة بقوله : « ربما سمع أحدهم ممن لا معرفة عنده ولا تحصيل له ، ان الزنادقة ظرفاء ، وانهم عقلاء وأدباء ، وانهم عبّاد وأصحاب اجتهاد ، وان لهم البصائر في دينهم ، والبذل لمهجهم ، وان هناك علماً وتمييزاً ، وإنصافاً وتحصيلاً ، فيسري اليهم مسرى المهر الأرن ، ويحن اليهم حنين الواله العجول ، ويتصبب فيهم صبابة العاشق المتيم ، ويرى انه متى اتهم بهم ، فقد قضى لهم بذلك كله ، فلا يزال كذلك حتى يسهل في طباعه ، ويرجح عنده أن يزعم انه زنديق » . وذكر انه « ما منهم في الظاهر إلا نظيف البزة ، جميل الشكل ، ظاهر المروءة ، فصيح اللهجة ، ظريف التفصيل والجملة ، والله أعلم ببواطنهم وضمائرهم . قال أبو نواس ، وكان أيضاً زنديقاً يعدّ فيهم :

تيه مغن وظرف زنديق »[3]

وكان حماد صديقاً لحمادين آخرين هما حماد عجرد ، وحماد بن الزبرقان ، وكانوا « يتنادمون على الشراب ويتناشدون الأشعار ، ويتعاشرون معاشرة جميلة ، وكانوا كأنهم نفس واحدة ، وكانوا يرمون بالزندقة »[4] . وقد هجا (حماد بن الزبرقان) (حماداً) الراوية ، فقال :

نعم الفتى لو كان يعرف ربّه ويقيم وقت صلاته حمادُ
هدلت مشافره الدنان فأنفه مثل القدوم يسنها الحدّاد

---

١ ياقوت ، ارشاد (٤/١٤٠) ، (تحقيق مركليوث) ، الاغاني (٦/٨٩) .
٢ الفهرست (١٠٨ وما بعدها) .
٣ ثمار القلوب (١٧٦ وما بعدها) ، ديوان ابي نواس (٨٩) .
٤ الاغاني (٦/٧٤ وما بعدها) ، الحيوان (٤/٤٤٧ وما بعدها) .

وأبيض من شرب المُدامة وجهه فبياضه يـــوم الحساب سواد[1]

غير أن علينا باعتبارنا من المؤرخين أن نحترز احترازاً شديداً في تقبل كل ما يروى من الأخبار، ولا سيما في المسائل الشخصية، وفي القضايا التي تكتنفها الخصومات في مثل هذه الحالة . فقد كان لحماد خصوم كثيرون من أهل هذا الشأن ، وقد حسدوه على تقدمه وشهرته ، كما كان هو يحسد غيره ولا شك ان تقدم عليه . والانسان مهما تقدم وترفع ، فإنه لا يستطيع أن يجرد نفسه من العاطفة ، ولا سيما عاطفة الدفاع عن النفس وإثبات الشخصية والتنافس مع الآخرين. وقد كان المفضل الضبي — كما ذكرت — في جملة خصوم حماد ، وهو من رؤوس رواة الشعر في تلك الأيام ، وهو نفسه لم يكن من الناجين من هذه التهمة التي اتهم بها حماد .

غير أن هذا لا يعني أن حماداً كان صادقاً في كل ما قاله وفي كل ما رواه، فوضعه للشعر ، وصنعه له ، وحمله على القدماء من المسائل المتواترة التي لا سبيل الى نكرانها ، إنما أريد هنا أن أنبه على ضرورة التأني والتقصي في أثناء مجابهتنا لمثل هذه الأخبار ، لنخرج ما قد بولغ أو زيد فيه ، حتى يكون حكمنا حكماً محايداً ، أو قريباً من الواقع .

وكما استدعى خلفاء بني أمية حماداً للاستفادة منه في الشعر ، كذلك استدعاه خلفاء بني العباس الأوائل ، كالمنصور والمهدي ، ليروي لهم ما كان يحفظه من الشعر والأخبار ، وليتحدث اليهم فيما أشكل عليهم من غريب الشعر. وقد استدعاه الخليفة المنصور مرة ، فأحضر من البصرة . غير أن صلاته بهم لم تكن عـــلى ما يظهر على نحو صلاته بالأمويين ، حيث حسب عليهم . واستدعى الى المهدي، كما ذكرت ذلك . ونقرأ في رواية ان (حماداً) قال لإياس بن مطيع ، وقد ذكر صلاته بالعباسيين : « دعني فإن دولتي كانت في بني أمية ، وما لي عند هؤلاء خير »[2] ، مما يخبر انه كان مجفواً عند بني العباس ، وذكر انه قال لمروان بن أبي حفصة : « ذهب ويحك ما كنت تعهد »[3] . وقد يكون لتقدم (حماد)

---

١ الحيوان (٤/٤٤٥) .

٢ الاغاني (٦/٨١) ، (٨/٢٥٣) .

٣ « ذهب ويحك ما كنت تعهد ، ذاك زمان ، وهذا زمان » ، الزجاجي ، مجالس العلماء (٢٨) ، الخزانة (٤/١٣٠) ، (بولاق) .

في العمر دخل في هذا البعد ، فقد كان قد جاوز السبعين من العمر في أيام المهدي، والعمر يؤثر بالطبع في مثل هذه الاتصالات ، التي تحتاج الى همة ونشاط ، وجواب حاضر وبديهة ، وردّ على منافسين وحساد .

وعاش حماد فشهد سقوط دولة (بني أمية) ، إذ توفي سنة (١٥٦ هـ) ، وذكر انه أبطل روايته فيما دسه على غيره من الشعر[1] .

ومن شعر (حماد) قوله :

اذا سرت في عجل فسر في صحابة ... وكندة فاحذرها حذارك للخسف
وفي شيمة الأعمى زيار وغيلة ... وقشب وإعمالٌ لجندلة القذف
وكلّم شرٌ على ان رأسهم ... حميدة والميلاء حاضنة الكيسف
متى كنت في حيّيْ بجيلة فاستمع ... فإن لهم قصفاً يدل على حتف
اذا اعتزموا يوماً على خنقِ زائرٍ ... تداعوا عليه بالنباح وبالعزف[2]

وقوله مخاطباً الشاعر أبي عطاء السندي :

فما صفراء تكنى أمّ عوفٍ ... كأن رُجَيْلتيها منجلان

وروي أن (أبا العطاء) أحسّ بدس حماد له ، فأجابه :

أردت زرارة وأزن زنا ... بأنك ما أردت سوى لساني

أي أردت جرادة ، وأظن ظناً بأنك ما أردت إلا أن تستخرج رطانتي . وكان في لسانه لكنة شديدة ولثغة[3] .

ويعدّ (ابن كناسة) أبو يحيى محمد بن عبدالله بن عبد الأعلى الأسدي (٢٠٧ هـ) في جملة الرجال الذين اتصلوا بحماد ورووا عنه . ونجد في الأغاني جملة أخبار رويت عن حماد في الشعر والأخبار . وابن كناسة نفسه من علماء

---

١ ارشاد ، لياقوت (٤/١٣٧ وما بعدها) ، شرح المفضليات (٢/٨) ، (لايل) ، (مقدمة) ، الاغاني (٥/١٦٤ وما بعدها) ، الفهرست (١٤٠) ، بروكلمن (١/٢٤٦) .
٢ الحيوان (٢/٢٦٦) .
٣ الحيوان (٥/٥٥٨) .

أيامه بالعربية وأيام الناس والشعر ، وقد سمع هشام بن عروة ، وسلمان الأعشى ، وروى عنه أحمد بن حنبل ومحمـــد بن اسحاق الصاغاني[1]. كذلك كان أبو أيوب المديني في جملة من رأى حماداً وروى عنه[2] .

ومن أصحاب حماد : سالم بن أبي السمحاء[3] ، والشاعر عمـار بن عمرو بن عبد الأكبر المعروف بـ (ذي كناز) ، وهو من الشعراء المجان المعاقرين للشراب المتهتكين القائلين للشعر الطريف المضحك المستخدمين للسخف فيه لأجل الإضحاك[4]، وابن عياش[5] ، والحسين بن يحيى[6] ، ومعاوية بن بكر الباهلي[7] .

ومن أشهر رواة الكوفة بعـد حماد (خالد بن كلثوم) الكلبي ، وله صنعة في الأشعار المدونة على القبائل[8] . وكان لغوياً راوية لأشعار القبائـل وأخبارها ، عارفاً بالأنساب والألقاب وأيام الناس . له كتاب أشعار القبائـل يحتوي على عدة قبائل[9] .

وأما « خلف الأحمر ، الذي توفي بعد (حماد) ، سنة (١٨٠ هـ) على رواية : فذكر العلماء انه « لم ير قط أعلم بالشعـر والشعراء من خلف الأحمر : كان يعمل الشعر على ألسنة الفحول من القدماء فلا يتميز عن مقولهم ، ثم تنسك فكان يختم القرآن كل يوم وليلة ، وبذل له بعض الملوك مالاً جزيلاً عـلى أن يتكلم في بيت من الشعر شكّوا فيه فأبى »[10] . وقيل عنه « كان من أمـرس الناس لبيت شعر ، وكان شاعراً يعمل الشعر على لسان العرب وينحله إياهم ...

---

١ الاغاني (١/١٣٥) .
٢ الاغاني (٣/٢٦٦) .
٣ الاغاني (٥/٢٦٢) .
٤ الاغاني (٧/٥٦ وما بعدها) .
٥ الاغاني (٧/٦٧) .
٦ الاغاني (٨/٢٨٥) .
٧ الاغاني (١١/٧) .
٨ الرافعي (١/٣٨٣) .
٩ القفطي ، انباه الرواة (١/٣٥٢) .
١٠ المستطرف (١/٦٠) ، (وكان من أمرس الناس لبيت شعر . وكان شاعرا ، يعمل الشعر على لسان العرب وينحله اياهم) ، الفهرست (٨٠) ، (أخبار خلف الاحمر)، انباه الرواة (١/٣٤٨ وما بعدها) ، بغية الوعاة (١/٥٥٤) ، المزهر (٢/٤٠٣).

وله من الكتب : كتاب العرب وما قيل فيها من الشعر »[1] . واسمه (خلف بن حيان) ، وعرف بـ (أبي محرز) ، وكان مولى لأبي موسى الأشعري، وقيل مولى بني أمية ، وأصله من (خراسان)[2] . وقيل مولى (أبي بردة بن أبي موسى الأشعري) أعتقه وأعتق أبويه ، وكانا فرغانيين[3] . وقد ذكر (ابن قتيبة) ان في شعر العلماء تكلف ، وهو رديء الصنعة ، ليس فيه شيء جاء عن إسماح وسهولة ، كشعر الأصمعي ، وشعر ابن المقفع ، وشعر الخليل ، خلا خلف الأحمر، فإنه كان أجودهم طبعاً وأكثرهم شعراً[4] . وكان عالماً بالغريب والنحو والنسب والأخبار ، شاعراً كثير الشعر جيده ، ولم يكن في نظرائه من أهل العلم أكثر شعراً منه . وكان يقول الشعر وينحله المتقدمين . ويكثر قول الشعر في وصف الحيّات ، وأراجيزه في ذلك كثيرة[5] .

وقد ذكر عنه أنه كان يتلاعب بالشعر الجاهلي ، فيزيد فيه وينقص . يروى أنه زاد البيت الأول والثالث من قصيدة (زهير بن أبي سلمى) (رقم ٤) في الديوان[6] . ونسب بعضهم اليه صنع المرثية التي رثى (تأبط شراً) بها أقاربه[7]. وقد نسب بعض العلماء اليه صنع لأمية الشنفرى[8]، المشهورة بلامية العرب التي أولها :

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني الى قوم سواكم لأميل

وروي عن (الأصمعي) قوله : سمعت خلفاً يقول : أنا وضعت على النابغة هذه القصيده التي فيها :

خيلٌ صيامٌ وخيل غيرُ صائمة تحت العجاج، وأخرى تعلك اللجما[9]

---

١ الفهرست (٨٠) ، المعارف (٥٤٤) ، تهذيب اللغة ، للازهري (٤٠ وما بعدها) ، طبقات ، لابن سلام (٦) .
٢ الفهرست (٨٠) .
٣ المعارف (٥٤٤) ، المزهر (٢/٤٠٣) ، الشعر والشعراء (٢/٦٧٣) .
٤ الشعر والشعراء (١/١٦) .
٥ الشعر والشعراء (٢/٦٧٣ وما بعدها) ، ياقوت ، ارشاد (١١/٦٦) ، نزهة الالباء (٣٧) ، الامالي ، للقالي (١/١٥٤) ، الزبيدي ، طبقات (١١٣) .
٦ بروكلمن ، تأريخ الادب العربي (١/٦٥) .
٧ المصدر نفسه (١/١٠٤) ، (حاشية رقم ١) .
٨ الامالي ، للقالي (١/١٥٧) ، بروكلمن ، تاريخ الادب العربي (١/١٠٦) .
٩ الرافعي (١/٣٨١) .

وله قصائد أخرى نص على بعضها العلماء وبينوا أنها مصنوعة ، وقد وضع على شعراء عبد القيس شعراً كثيراً[1] ، وقال الجاحظ : إنه هو الذي أورد على الناس نسيب الأعراب ، وهذا النسب من أرق الشعر قاطبة وما أحراه أن يكون مصنوعاً[2] . ولما توفي خلف رثاه أبو نواس بشعر فيه :

أودى جميع العلم مذ أودى خلف من لا يعدُّ العلم إلا ما عرف
قليلٌ من العيالم الخسف كنّا متى نشاء منه نغترف
رواية لا تجتني من الصحف[3]

وهو أحد رواة الغريب واللغة والشعر ونقاده والعلماء به وبقائليه وصناعته . وله صنعة فيه . وهو أحد الشعراء المحسنين ، ليس في رواة الشعر أحدٌ أشعر منه .

وكان يبلغ من حذقه واقتداره على الشعر أن يشبّه شعره بشعر القدماء ، حتى يشبه بذلك على جلّة الرواة ، ولا يفرقون بينه وبين الشعر القديم ، من ذلك قصيدته التي نحلها ابن أخت تأبط شراً ، التي أولها :

إن بالشعب الذي دون سلع لقتيلاً دمه ما يطلُّ[4]

جازت على جميع الرواة ، فما فُطِن بها إلا بعد دهر طويل بقوله :

خبرٌ ما نابنا مُصمّئل جلّ حتى دقّ فيه الأجل

فقال بعضهم :

جلّ حتى دق فيه الأجل

من كلام المولدين . فحينئذ أقر بها خلف »[5] .

---

١ المزهر (٢/٤٠٣) .
٢ الرافعي (١/٣٨١ وما بعدها) .
٣ الشعر والشعراء (٢/٦٧٣) ، الحيوان (٣/١٥٤) .
٤ وتنسب أيضا الى تأبط شرا ، ديوان الحماسة (٢/٣١٣) ، العقد الفريد (٦/١٥٧) ، الاغاني (٦/٨٧) ، (ان بالشعب الى جنب سلع) ، الامالي (١/١٥٦) ، أمالي المرتضى (٢/٢٨٠) ، الشعر والشعراء (٢/٦٧٤) .
٥ القفطي ، انباه الرواة (١/٣٤٨ وما بعدها) .

كان (خلف الأحمر) رأس البصرة في رواية الشعر وفي البصر به. كما كان (حماد) زعيم الكوفة في هذا العلم . وكان (خلف) نفسه ممن أخذ هذا العلم عن (حماد) ، فهو من أحد تلامذته ورواته وسامعيه . وكان المقدم عند أهل البصرة ، حتى كانوا لا يصدرون الرأي في شعر دونه ، واذا اختلف علماؤهم في شيء منه ، عرضوا خلافهم عليه للبت فيه[1] . وروي انه كان أول من أحدث السماع بالبصرة ، وذلك انه جاء الى حماد الراوية ، فسمع منه[2] .

وقيل عنه إنه كان شاعراً مجيداً جيد الشعر كثيره ، لم يكن في نظرائه أحد يقول مثله الشعر[3] . ووضع على شعراء (عبد القيس) شعراً كثيراً موضوعاً وعلى غيرهم ، وأخذ ذلك عنه أهل البصرة وأهل الكوفة . وكان (خلف) أخذ النحو عن (عيسى بن عمر) ، وأخذ اللغة عن (أبي عمرو) . « ولم يُرَ أحد قط أعلم بالشعر والشعراء منه ، وكان يضرب به المثل في عمل الشعر ، وكان يعمل على ألسنة الناس ، فيشبه كل شعر يقوله بشعر الذي يضعه عليه ، ثم نسك فكان يختم القرآن في كل يوم وليلة ، وبذل له بعض الملوك مالاً عظيماً خطيراً على أن يتكلم في بيت شعر شكوا فيه ، فأبى ذلك . وعليه قرأ أهل الكوفة أشعارهم ، وكانوا يقصدونه لما مات حماد الراوية ، لأنه كان قد أكثر الأخذ عنه . وبلغ مبلغاً لم يقاربه حماد. فلما نسك خرج الى أهل الكوفة فعرّفهم الأشعار التي قد أدخلها في أشعار الناس ، فقالوا له : أنت كنت عندنا في ذلك الوقت أوثق منك الساعة ، فبقي ذلك في دواوينهم الى اليوم »[4] . وروي عن خلف قوله : « كنت آخذ من حماد الراوية الصحيح من أشعار العرب،وأعطيه المنحول، فيقبل ذلك مني ، ويدخله في أشعارها ، وكان فيه حمق »[5] .

ويصعب في الواقع تصديق هذه الرواية المنسوبة الى خلف الأحمر ، فلم يكن حماد بإجماع المنافسين له على شيء من الفضلة والحمق ، حتى نصدق ما ورد في هذا الخبر الآحاد ، الذي هو خبر من أخبار رواة البصرة ، بل نرى من الأخبار

---

١ الرافعي (١/٣٨١) .
٢ ابن الانباري : نزهة (٥٨ وما بعدها) .
٣ المعارف (٥٤٤) .
٤ المزهر (٢/٤٠٣) .
٥ الاغاني (٦/٩٢) ، (٩/١٢٤) .

الواردة عنهم العكس ، نرى فيه الفطنة والخبث الى آخر أيامه . ثم انه كان أقدم وأشهر وأعرف وأحفظ من خلف الأحمر ، وهو في معرفة الشعر وتمييزه أمرس من صاحبه خلف ، فلا يعقل فوات ما نحله (خلف) القدماء على حماد . وقد كان الرواة أنفسهم يتعجبون من مقدرة حماد على التمييز بين الصحيح والفاسد من الشعر ، وعلى إحاطته بأساليب الجاهليين في نظم القريض ، وعلى إتقانه تلك الأساليب ، حتى صار من الصعب على عشاق الشعر التمييز بين ما كان يصنعه حماد على ألسنة الشعراء الجاهليين وبين ما كان من نظمهم حقاً . ولهذه الأسباب يصعب التصديق بهذا الخبر ، ورأيي انه من وضع أهل البصرة ، وضعوه على حماد ، كرهاً له وللكوفيين . ورواته هم من البصريين .

وما خبر توبة (خلف الأحمر) ، وخروجه الى أهل الكوفة ، ليعرفهم الأشعار التي أدخلها في أشعار الناس ، والتي أدخلها أهل الكوفة في دواوينهم ، وأبوا إصلاحها ، أو حذفها ، سوى قصة فيها الطعن والسخرية بعلم أهل الكوفة وبفهمهم للشعر ، وفيه مدح وتفخيم لعلم خلف بالشعر ، وإن كان لا يخلو من تجريح لخلف نفسه،وفيه مدح لعلم أهل البصرة. ولصدقهم في رواية الشعر والأخبار استهزاء اذن وتعريض بأهل الكوفة ، ليس فوقه استهزاء ، وضعه رجل فيه دعابة وتعصب وتحامل على الكوفيين .

وقد اختص (خلف) بالفروع التي اختص بها حماد بالكوفة ، وبذلك جعل البصرة تنافس الكوفة فيها . اختص بالشعر القديم ، وباللغة ، وبشيء آخر مهم جداً هو وضع الشعر وحمله على ألسنة القدماء ، فصار في هذا الباب بطل البصرة وممثلها ، كما كان حماد بطل الكوفة وزعيم الوضاعين . وقد امتاز خلف على الأصمعي العالم البصري ومعاصره بقدرته على نظم الشعر ، إذ كان هو نفسه شاعراً متمكناً في الشعر ، متقناً لفنونه ، كان من حذقه واقتداره في الشعر أن يشبه شعره بشعر القدماء فلا يفرق بينه وبين القديم . أما الأصمعي ، فلم يبلغ مبلغه فيه، وإن كان من علماء اللغة والأدب والنحو ومن حفظة الشعر ورواته .

وهناك روايات تنسب الصدق الى خلف ، ثم لا تكتفي بذلك حتى تجعله أعرف الناس وأعلمهم بالشعر.وروايات تذكر أنه كان أول من أحدث السماع بالبصرة ، وأنه تعلم ذلك من حماد[1] .

---

١ ياقوت ، ارشاد (٤/١٧٩) .

وكان (الأصمعي) ، وهو من علماء البصرة ، كما ذكرت ، غير راض عن (خلف) ، إذ كان يغمز فيه ، ويتهمه بالكذب . ويظهر أن ذلك بسبب المنافسة على الزعامة في العلم . روي عنه أنه قال في خلف : « رواة غير منقحين ، أنشدوني أربعين قصيدة لأبي دُواد الإيادي قالها خلف الأحمر . وهم قوم تعجبهم كثرة الرواية ، اليها يرجعون ، وبها يفتخرون »[1] . ويريد بهم أهل الكوفة . وذكر (الأصمعي) أيضاً أن خلفاً الأحمر « وضع على شعراء عبد القيس شعراً موضوعاً كثيراً ، وعلى غيرهم ، عبثاً بهم ، فأخذ ذلك عنه أهل البصرة وأهل الكوفة »[2] .

وينسب الى الأصمعي قوله أنه حضر مأدبة « وأبو محرز خلف الأحمر ، وابن مناذر معنا ، فقال له ابن مناذر : يا أبا محرز ان يكن امرؤ القيس، والنابغة ، وزهير ماتوا ، فهذه أشعارهم مخلدة ، فقس شعري الى شعرهم . قال : فأخذ صفحة مملوءة مرقاً ، فرمى به عليه فلأه ، فقام ابن مناذر مغضباً ، وأظنه هجاه بعد ذلك »[3] . وهذه القصة – إن صحت – تشير الى وجود غلظة في طبع خلف. وهناك أخبار أخرى تؤيد هذا الرأي[4] .

وقد أشار (ابن النديم) الى كتاب لخلف الأحمر ، أسماه : (كتاب العرب وما قيل فيها من الشعر)[5] . وذكر ياقوت الحموي له كتابين : ديوان شعر حمله عنه أبو نواس ، وكتاب جبال العرب[6] .

ومما يؤسف له حقاً، هو أن حماداً الراوية ، أو غير حماد ممن رووا عنه ، أو أخذوا عن غيره ، لم يشيروا الى الموارد التي أخذ حماد منها هذا الفيض من الشعر ، كما أنهم لم يشيروا الى الموارد التى استقى بقية رواة الشعر منها ما رووه

---

١ الموشح (٢٠١ وما بعدها) .
٢ مراتب النحويين (٧٥) .
٣ الموشح (٢٩٦) ، الاغاني (١٧/١١) ، ياقوت ، ارشاد (١٧٩/٤) .
٤ « حدثني عمر بن شبة ، قال : أنشد أبو عبيدة خلفا الاحمر شعرا له ، فقال له خلف : يا أبا عبيدة ، اخبأ هذه كما تخبأ السنور خرءها » الموشح (٣٦٦ وما بعدها) .
٥ الفهرست (٧٤) .
٦ ياقوت ، ارشاد (١٧٩/٤) .

من الشعر الجاهلي . ولو ذكروه لأفادونا ولا شك بذلك كثيراً ، إذ يكون في مقدورنا التوصل الى معرفة الأشخاص الذين كان لهم فضل حمل هذه الثروة العظيمة من ذلك الشعر . ومما يؤسف له أيضاً هو أن معظم دواوين الشعراء الجاهليين لا يرتفع سندها الى رواة يتقدم عهدهم على عهد حماد . ولو ارتفعت لاستفدنا منها بالطبع كثيراً في معرفة أسماء رواة الشعر الجاهلي وحفّاظه وجامعيه وكتبته قبل أيام حماد ، ولعرفنا بذلك شيئاً عن الموارد التي أخذ منها هذا الراوية ذلك الكنز الثمين .

ولا بد من ذكر (السكري) في هذا المكان . وهو (أبو سعيد الحسن بن الحسين) السكري اللغوي ، المتوفى سنة (٢٧٥ هـ) . فله مؤلفات عديدة عن الشعر ، وشروح للدواوين . منها : شرح أشعار هذيل[١] ، وديوان أبي كبير الهذلي بشرح السكري[٢] ، وكتاب أخبار اللصوص ، جمع فيه أشعار لصوص البدو المشهورين[٣] ، وأشعار اليهود[٤] ، وشرح ديوان زهير[٥] ، وديوان امرىء القيس ، بروايته[٦] ، وشرح ديوان حسان ، وقد نقل منه (البغدادي)[٧] ، وديوان الحطيئة ، وهو روايته عن ابن حبيب[٨] ، وديوان أبي ذؤيب الهذلي[٩] ، وشرحه على ديوان عبدالله بن قيس الرقيات[١٠] ، وديوان الأخطل ، وهو روايته عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي[١١] ، وديوان الفرزدق[١٢] .

وقد أخذ السكري من الموارد التي ألفت قبله ؛ كما أخذ من علماء المصرين : البصرة والكوفة ، دون تعصب أو تحزّب ، وكان راوية البصريين[١٣] .

---

١ خزانة (٢/٣١٧) .
٢ بروكلمن (١/٨٤) .
٣ بروكلمن (١/٨٥) .
٤ بروكلمن (١/٨٤) .
٥ بروكلمن (١/٩٦) .
٦ بروكلمن (١/١٠٠) .
٧ خزانة (٣/٣٣٣) ، (٤/٤٤) .
٨ بروكلمن (١/١٦٨) .
٩ بروكلمن (١/١٦٩) .
١٠ بروكلمن (١/١٩٣) .
١١ بروكلمن (١/٢٠٨) .
١٢ بروكلمن (١/٢١٣) .
١٣ نزهة الالباء (١٤٤ وما بعدها) .